THE BOOK WAS DRENCHED

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190924

UNIVERSAL
LIBRARY

قررت وزارة المعارف العمومية استعمال هذا الكتاب بمدارسها الابتدائية

القراءة الرشيدة

الجزء الرابع

تأليف

SOKSD. 1951

عبد الفتاح صبري بك
المدير العام للتعليم
بمجلس مديرية الدقهلية

علي عمر بك
المدير العام للتعليم
بمجلس مديرية البحيرة

الطبعة الثالثة

حقوق الطبع محفوظة

يطلب من
نجيب مترى
صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

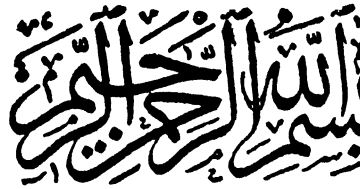

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسائر النبيين

وبعد فإن الزمان قد دار وسار وهبّ الكل يطلب العلم للصغار والكبار ولما كان أولى المسائل بالاهتمام والعناية تعليم القراءة والكتابة وشيء مما في الدنيا من آيات الله أنشأنا هذه الكتب الاربعة أساسها التدرج وسهولة الأخذ وبناؤها على أحسن أساليب التربية وأحدثها وحالة نشوء المدارك وتطوّرها ورجاؤنا من المولى سبحانه وتعالى أن يجعلها سديدة الخطى رشيدة الغاية إنه ولىّ التوفيق

وقد استنفد الطلب الطبعة الأولى وهذه الطبعة الثانية أختها في الغاية والعناية

﴿ ١ — آيَاتُ الْخَالِقِ ﴾

تُظْهِرُ قَانِتٌ

فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَيُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ
ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ
وَلَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ وَهُوَ
ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ
ٱلْأَعْلَى فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(القرآن الكريم)

﴿ ٢ — اَلسَّاعَةُ اَلدَّقَّاقَةُ عِنْدَ اَلْعَرَبِ ﴾

طَاسٌ اَلِانْتِكَاسُ

إِنَّ صُنْدُوقَ اَلسَّاعَاتِ اَلَّتِي بِهَا نَتَعَرَّفُ أَوْقَاتَ اَلصَّلَوَاتِ يَتَرَكَّبُ مِنْ آلَةٍ عَلَى شَكْلِ أُسْطُوَانَةٍ تَحْتَوِي مِقْدَارًا مِنَ اَلْمَاءِ مَعْلُومًا وَآلَةٍ أُخْرَى مُجَوَّفَةٍ مَوْضُوعَةٍ فِيهَا فَوْقَ اَلْمَاءِ وَخَيْطٍ مَشْدُودٍ أَحَدُ طَرَفَيْهِ فِي هَذِهِ اَلْآلَةِ

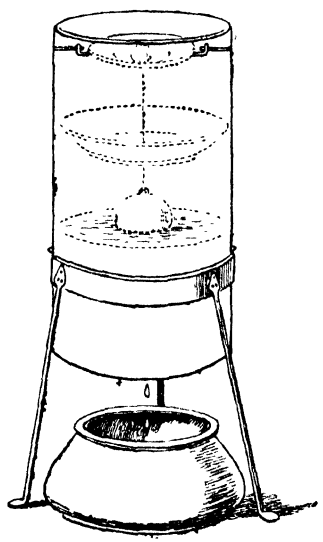

اَلظَّرْفُ وَاَلْكُرَةُ

اَلطَّاسُ

اَلْآلَةُ اَلْمُجَوَّفَةُ

اَلْأُسْطُوَانَةُ

اَلْمُجَوَّفَةِ وَطَرَفُهُ اَلْآخَرُ فِي أَسْفَلِ ظَرْفٍ صَغِيرٍ مَوْضُوعٍ

فَوْقَ ٱلْآلَةِ ٱلْمُجَوَّفَةِ وَفِيهِ كُرَةٌ وَتَحْتَهُ طَاسٌ بِحَيْثُ لَوْ سَقَطَتِ ٱلْكُرَةُ وَقَعَتْ فِي ٱلطَّاسِ وَسُمِعَ طَنِينُهَا ثُمَّ يُثْقَبُ أَسْفَلُ ٱلْآلَةِ ٱلْأُسْطُوَانِيَّةِ ثَقْبًا بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ يَنْزِلُ ٱلْمَاءُ مِنْهُ قَلِيلًا قَلِيلًا فَإِذَا ٱنْخَفَضَ ٱلْمَاءُ ٱنْخَفَضَتِ ٱلْآلَةُ ٱلْمُجَوَّفَةُ ٱلْمَوْضُوعَةُ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ فَامْتَدَّ ٱلْخَيْطُ ٱلْمَشْدُودُ بِهَا فَحَرَّكَ ٱلظَّرْفَ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْكُرَةُ تَحْرِيكًا يُقَرِّبُهُ مِنَ ٱلِٱنْتِكَاسِ إِلَى أَنْ يَنْتَكِسَ فَتَتَدَحْرَجُ مِنْهُ ٱلْكُرَةُ وَتَقَعُ فِي ٱلطَّاسِ وَتَطِنُّ وَعِنْدَ ٱنْقِضَاءِ كُلِّ سَاعَةٍ تَقَعُ وَاحِدَةٌ

وَإِنَّمَا يَتَقَدَّرُ ٱلْفَصْلُ بَيْنَ ٱلْوَقْتَيْنِ بِتَقْدِيرِ خُرُوجِ ٱلْمَاءِ وَٱنْخِفَاضِهِ وَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ سَعَةِ ٱلثَّقْبِ ٱلَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَاءُ وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ ٱلْحِسَابِ فَيَكُونُ نُزُولُ ٱلْمَاءِ بِمِقْدَارٍ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ بِسَبَبِ تَقْدِيرِ سَعَةِ ٱلثَّقْبِ بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ وَيَكُونُ أَعْلَى ٱلْمَاءِ بِذَلِكَ ٱلْمِقْدَارِ

وَيَتَقَدَّرُ بِهِ انْخِفَاضُ الْآلَةِ الْمُجَوَّفَةِ وَانْجِرَارُ الْخَيْطِ الْمَشْدُودِ بِهَا وَيُوَلِّدُ الْحَرَكَةَ فِي الظَّرْفِ الَّذِي فِي الْكُرَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَتَقَدَّرُ بِتَقَدُّرِ سَعَتِهِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَيُمْكِنُ أَنْ يُجْعَلَ وُقُوعُ الْكُرَةِ فِي الطَّاسِ سَبَبًا لِحَرَكَةٍ أُخْرَى وَتَكُونُ الْحَرَكَةُ الْأُخْرَى سَبَبًا لِحَرَكَةٍ ثَالِثَةٍ وَهَكَذَا إِلَى دَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى يَتَوَلَّدَ مِنْهَا حَرَكَاتٌ عَجِيبَةٌ مُقَدَّرَةٌ بِمَقَادِيرَ مَحْدُودَةٍ وَسَبَبُهَا الْأَوَّلُ نُزُولُ الْمَاءِ بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ

(الإمام الغزالي)

﴿ ٣٠ — خُطْبَةُ طَارِقٍ قَبْلَ فُتُوحِ الْأَنْدَلُسِ ﴾

دُنُوٌّ خُذْلَانٌ مُنَاجَزَةٌ الطَّاغِيَةُ

الْأَرْفَهُ يُعْوِزُ عَزِيمَةٌ

لَمَّا بَلَغَ طَارِقًا دُنُوُّ لُذَرِيقَ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ «أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ الْمَفَرُّ الْبَحْرُ مِنْ

وَرَائِكُمْ وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ وَاللهِ إِلَّا الصِّدْقُ وَالصَّبْرُ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ هُنَا أَضْيَعُ مِنَ الْأَيْتَامِ فِي مَأْدُبَةِ اللِّئَامِ وَقَدْ اسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ وَأَسْلِحَتِهِ وَأَقْوَاتُهُ مَوْفُورَةٌ وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ لَكُمْ إِلَّا سُيُوفُكُمْ وَلَا أَقْوَاتَ إِلَّا مَا تَسْتَخْلِصُونَهُ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ وَإِنِ امْتَدَّتْ بِكُمُ الْأَيَّامُ عَلَى افْتِقَارِكُمْ وَلَمْ تُنْجِزُوا لَكُمْ أَمْرًا ذَهَبَ رِيحُكُمْ وَتَعَوَّضَتِ الْقُلُوبُ مِنْ رُعْبِهَا مِنْكُمُ الْجُرْأَةَ عَلَيْكُمْ فَارْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خُذْلَانَ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ بِمُنَاجَزَةِ هَذَا الطَّاغِيَةِ فَقَدْ أَلْقَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ مَدِينَتُهُ الْحَصِينَةُ وَإِنَّ انْتِهَازَ الْفُرْصَةِ فِيهِ لَمُمْكِنٌ إِنْ سَمَحْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَوْتِ وَإِنِّي لَمْ أُحَذِّرْكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ بِنَجْوَةٍ وَلَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا النُّفُوسُ إِلَّا أَبْدَأُ بِنَفْسِي وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَشَقِّ قَلِيلًا اسْتَمْتَعْتُمْ بِالْأَرْفَهِ الْأَلَذِّ طَوِيلًا فَلَا

تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ بِأَوْفَرَ مِنْ حَظِّي وَاللهُ تَعَالَى وَلِيُّ إِنْجَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ ذِكْرًا فِي الدَّارَيْنِ وَاعْلَمُوا أَنِّي أَوَّلُ مُجِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ وَأَنِّي عِنْدَ مُلْتَقَى الْجَمْعَيْنِ حَامِلٌ بِنَفْسِي عَلَى طَاغِيَةِ الْقَوْمِ لِذَرِيقَ فَقَاتِلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فَاحْمِلُوا مَعِي فَإِنْ هَلَكْتُ بَعْدَهُ فَقَدْ كُفِيتُمْ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعْوِزْكُمْ بَطَلٌ عَامِلٌ تُسْنِدُونَ أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ هَلَكْتُ قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْهِ فَاخْلُفُونِي فِي عَزِيمَتِي هَذِهِ وَاحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ وَاكْتَفُوا لَهُمْ مِنْ فَتْحِ هَذِهِ الْأَرَاضِي بِقَتْلِهِ»

﴿ ٤ — السَّفْرَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ سَفَرَاتِ السِّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ (١) ﴾

إِنْهِمَاكَ	الْأُهْبَةُ	مَكِينٌ	تَتَعَوَّضُ
دَيَّارٌ	السُّفْرَةُ	مَرَارَةٌ	مَلْسَاءُ
تَنْفَطِرُ			

لَمَّا انْهَمَكْتُ فِي اللَّذَّاتِ وَانْتِهَابِ الْمَسَرَّاتِ خَطَرَ بِبَالِي السَّفَرُ وَاشْتَاقَتْ نَفْسِي لِلْمَتْجَرِ وَنَسِيتُ مَا لَاقَيْتُ مِنَ الشِّدَّاتِ فَأَخَذْتُ فِي الْأُهْبَةِ وَاشْتَرَيْتُ مَتْجَرًا مَلِيحًا وَشَدَدْتُ الْأَحْمَالَ وَسَافَرْتُ مَعَ تُجَّارٍ مُرَافِقِينَ وَرِفَاقٍ مُوَافِقِينَ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَرَكِبْنَا فِي مَرْكَبٍ مَكِينٍ وَنَحْنُ بِاللهِ نَسْتَعِينُ وَمَازِلْنَا نَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي وَنَتَعَوَّضُ حَتَّى نَزَلْنَا ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى جَزِيرَةٍ كَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ وَالْأَثْمَارِ خَالِيَةٍ مِنَ النَّاسِ مَا فِيهَا دَيَّارٌ وَلَا نَافِخُ نَارٍ فَرَسَا الْمَرْكَبُ عَلَيْهَا وَطَلَعَ التُّجَّارُ إِلَيْهَا يَتَفَرَّجُونَ بِرِيَاضِهَا وَأَنْهَارِهَا وَيَجْمَعُونَ مِنْ أَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا وَأَنَا أَخَذْتُ السُّفْرَةَ وَجَلَسْتُ عَلَى سَاقِيَةٍ جَارِيَةٍ بَيْنَ أَشْجَارٍ مُثْمِرَةٍ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَطَابَ لِيَ الْمَنَامُ فَرَقَدْتُ مَكَانِي بَيْنَ الْأَشْجَارِ فَمَا اسْتَيْقَظْتُ إِلَّا وَالْمَرْكَبُ قَدْ أَقْلَعَ وَسَارَ وَسَافَرَ وَغَاصَ فِي الْبَحْرِ

فَقُمْتُ وَلَمْ أَجِدْ عِنْدِي أَنِيساً وَلَا جَلِيساً فَصَرَخْتُ وَلَطَمْتُ عَلَى رَأْسِي وَانْقَطَعَ رَجَائِي مِنَ الْحَيَاةِ وَالدُّنْيَا وَكَادَتْ تَنْفَطِرُ مَرَارَتِي مِنَ الْحَسْرَةِ وَبَقِيتُ كَالْمَجْنُونِ لَا أَقْدِرُ عَلَى السُّكُونِ فَصَعِدْتُ عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ وَنَظَرْتُ يَمِيناً وَشِمَالًا فَلَمْ أَرَ غَيْرَ الْمَاءِ وَالسَّمَاءِ وَنَظَرْتُ وَإِذَا شَيْءٌ أَبْيَضُ قَدْ لَاحَ لِي مِنَ الْبُعْدِ فَنَزَلْتُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَأَخَذْتُ السُّفْرَةَ وَكَانَ فِيهَا زَادٌ كَثِيرٌ

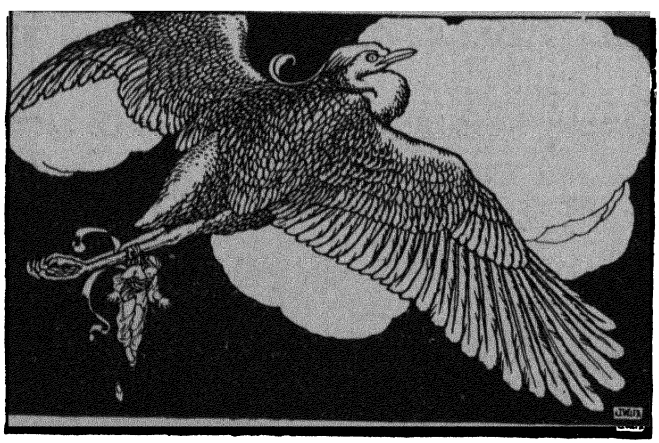

ثُمَّ إِنِّي قَصَدْتُ ذَلِكَ الْبَيَاضَ وَإِذَا هِيَ قُبَّةٌ كَبِيرَةٌ

شاهِقَةٌ مَلْساءُ نَاعِمَةٌ فَدَنَوْتُ مِنْهَا وَدُرْتُ حَوْلَهَا فَلَمْ أَجِدْ لَهَا بَابًا وَلَمْ أُطِقِ الصُّعُودَ عَلَيْهَا مِنْ مَلَاسَتِهَا وَكَانَتِ اسْتِدَارَتُهَا خَمْسِينَ خَطْوَةً فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا فِي ذَلِكَ وَكَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ قَارَبَتِ الْغُرُوبَ وَإِذَا الْجَوُّ قَدْ أَظْلَمَ وَظَهَرَتْ غَيْمَةٌ كَبِيرَةٌ فَتَأَمَّلْتُهَا وَإِذَا هِيَ طَيْرٌ فَتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرَ الْبَحْرِيُّونَ عَنْ طَيْرِ الرُّخِّ الَّذِي هُوَ بِقَدْرِ الْغَيْمَةِ وَتِلْكَ الْقُبَّةُ هِيَ بَيْضَتُهُ وَإِذَا بِالطَّيْرِ قَدْ نَزَلَ عَلَيْهَا وَأَنَا فِي جَانِبِهَا فَوَقَعَ أَحَدُ مَخَالِبِهِ قُدَّامِي كَأَنَّهُ سِكَّةُ حَدِيدٍ كَبِيرَةٌ فَحَلَلْتُ عِمَامَتِي عَنْ رَأْسِي وَشَدَدْتُ نَفْسِي فِي طَرَفِ الْعِمَامَةِ وَفِي الْمِخْلَبِ شَدًّا وَثِيقًا وَقُلْتُ لَعَلَّ هَذَا الطَّيْرَ يُخْرِجُنِي مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ إِلَى مَكَانٍ عَامِرٍ

﴿ ٥ـ السَّفْرَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ سَفَرَاتِ السِّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ (٢) ﴾

نَكَسَ نَائِبَةٌ كَهْفٌ أَرْتَعِدُ

تَجَلَّتْ

فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ أَقْلَعَ الرُّخُّ وَطَارَ فِي الْفَضَاءِ وَأَنَا مَرْبُوطٌ فِي مِخْلَبِهِ رَبْطًا وَثِيقًا وَالسُّفْرَةُ مَعِي وَلَمْ يَزَلْ مُرْتَفِعًا إِلَى الْجَوِّ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدِ احْتَكَّ بِالسَّمَاءِ ثُمَّ نَكَّسَ رَأْسَهُ وَطَلَبَ الْأَرْضَ فَلَمْ أُحِسَّ بِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا عَلَى وَجْهِهَا. فَحَلَلْتُ الْعِمَامَةَ مِنْ مِخَالِبِهِ وَإِذَا بِهِ ضَرَبَ عَلَى حَيَّةٍ كَأَنَّهَا جَمَلٌ وَأَخَذَهَا وَطَارَ وَبَقِيتُ أَنَا فِي وَادٍ عَمِيقٍ لَا يَبْلُغُ النَّظَرُ إِلَى ارْتِفَاعِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى النُّزُولِ إِلَيْهِ أَوِ الصُّعُودِ مِنْهُ فَقُلْتُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ كُلُّ نَائِبَةٍ تَأْتِينِي أَصْعَبُ مِنَ الْأُخْرَى

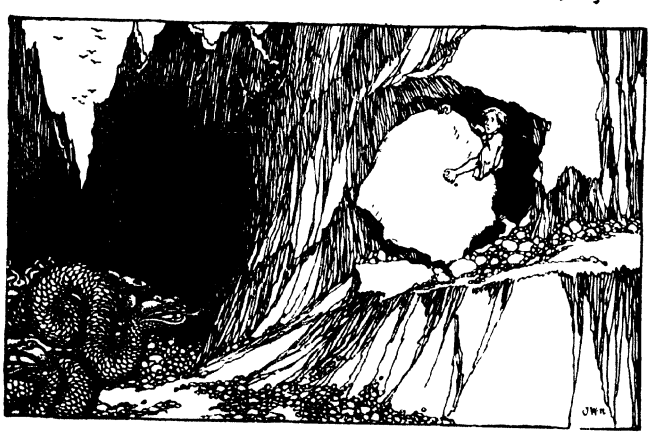

ثُمَّ إِنِّى تَمَشَّيْتُ فِى ذَلِكَ ٱلْوَادِى وَإِذَا أَرْضُهُ جَمِيعُهَا مِنْ حَجَرِ ٱلْمَاسِ وَهُوَ مِنْ أَفْخَرِ ٱلْجَوَاهِرِ ٱلْغَالِيَةِ ٱلثَّمَنِ وَفِى ذَلِكَ ٱلْوَادِى حَيَّاتٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَبْلُغُ ٱلْفِيلَ وَهِىَ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَتَخْتَفِى بِٱلنَّهَارِ مِنْ هٰذَا ٱلطَّيْرِ ٱلَّذِى ذَكَرْنَاهُ وَتَسْعَى بِٱللَّيْلِ فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا ذَلِكَ ٱلْيَوْمَ إِلَى أَنْ أَمْسَى ٱلْمَسَاءُ فَعَمَدْتُ إِلَى مَغَارَةٍ فِى كَهْفٍ صَغِيرٍ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَسَدَدْتُ بَابَهُ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ وَأَخْرَجْتُ مَا بَقِىَ مَعِى مِنَ ٱلزَّادِ فِى ٱلسُّفْرَةِ وَأَكَلْتُ كِفَايَتِى وَأَنَا أَرْتَعِدُ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَإِذَا بِٱلْحَيَّاتِ خَرَجَتْ تَسْعَى كَٱلْأَفْيَالِ وَبَعْضُهَا كَٱلْجِمَالِ وَعَايَنْتُ مَا هَالَنِى مِنْهَا حَتَّى طَلَعَ ٱلْفَجْرُ وَقَدِ ٱخْتَفَتِ ٱلْحَيَّاتُ فَخَرَجْتُ أَمْشِى فِى ٱلْوَادِى وَأَنَا فِى حَيْرَةٍ عَظِيمَةٍ

وَبَيْنَمَا أَنَا وَاقِفٌ إِذْ وَقَعَ بِجَانِبِى شِقَّةُ لَحْمٍ طَرِىٍّ فَٱلْتَفَتُّ وَإِذَا بِشِقَقٍ كَثِيرَةٍ قَدْ تَسَاقَطَتْ عَلَى ٱلْجِبَالِ فَتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرَ بِهِ ٱلْمَلَّاحُونَ أَنَّهُ وَادِى ٱلْمَاسِ ٱلَّذِى

يَقْصِدُهُ ٱلتُّجَّارُ وَيُشَرْحِنُونَ ٱللَّحْمَ وَيَرْمُونَهُ فِيهِ فَيَعْلَقُ بِهِ بَعْضُ ٱلْمَاسِ فَتَنْزِلُ ٱلطُّيُورُ وَتَأْخُذُهُ وَتَصْعَدُ إِلَى ٱلْجَبَلِ حَتَّى تُطْعِمَهُ أَفْرَاخَهَا فَيَأْتِي ٱلتُّجَّارُ وَيَأْخُذُونَ مَالَصِقَ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْجَارِ كُلُّ تَاجِرٍ مِنْ شِقَّتِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِهَذِهِ ٱلْحِيلَةِ فَطَارَ قَلْبِي بِذَلِكَ وَجَمَعْتُ مِنَ ٱلْوَادِي مَاقَدَرْتُ مِنْ أَخَرِ ٱلْمَاسِ ٱلْمَلِيحِ وَمَلَأْتُ ٱلسُّفْرَةَ وَأَتَيْتُ إِلَى شِقَّةٍ كَبِيرَةٍ تَجَلَّلْتُ فِيهَا وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَتَتِ ٱلنُّسُورُ وَكُلٌّ مِنْهَا حَمَلَ شِقَّةً وَٱرْتَفَعَ بِهَا إِلَى أَعْلَى ٱلْجَبَلِ وَشِقَّتِي حَمَلَهَا نَسْرٌ كَبِيرٌ وَوَضَعَهَا فَوْقَ ٱلْجَبَلِ أَيْضًا وَإِذَا بِصَيْحَاتٍ قَدْ عَلَتْ عَلَى ٱلنُّسُورِ فَأَجْفَلَتْ وَتَرَكَتِ ٱللُّحُومَ وَطَارَتْ

٦ — اَلسَّفْرَةُ ٱلثَّانِيَةُ مِنْ سَفَرَاتِ السِّنْدِبَادِ ٱلْبَحْرِيِّ (٣)

اِرْتَعَبَ قَبْضَةُ أَعِي اَلْكَرْكَدَنُ

فَأَتَى التُّجَّارُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى شِقَّتِهِ فَنَهَضَ صَاحِبُ شِقَّتِي لِيَأْخُذَ مَا لَصِقَ بِهَا فَوَجَدَنِي وَارْتَمَبَ مِنِّي فَقُلْتُ لَهُ لَا تَخَفْ أَنَا إِنْسَانٌ مِثْلُكَ فَصَرَخَ وَبَكَى وَقَالَ يَا خَيْبَةَ تِجَارَتِي فِيكَ فَقُلْتُ لَهُ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَنَا مَعِي شَيْءٌ أُعْطِيكَ أَكْثَرَ مِمَّا حَصَلَ لِرِفَاقِكَ ثُمَّ إِنَّهُ تَقَدَّمَ وَحَلَّ الشِّقَّةَ وَالْعِمَامَةَ وَأَخْرَجَنِي وَإِذَا بِالتُّجَّارِ قَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيَّ وَسَأَلُونِي عَنْ حَالِي فَحَكَيْتُ لَهُمْ مَا جَرَى لِي فَتَعَجَّبُوا عَجَبًا عَظِيمًا وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَلَامَتِكَ

ثُمَّ مَضَوْا وَأَنَا مَعَهُمْ إِلَى مَجْمَعِ التُّجَّارِ فَأَخْرَجْتُ مِنَ السُّفْرَةِ الَّتِي مَعِي وَأَعْطَيْتُ صَاحِبَ شِقَّتِي نَصِيبَهُ وَكُنْتُ قَدْ مَلَأْتُهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ وَنِمْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عِنْدَهُمْ وَهُمْ يَسْأَلُونَنِي عَنْ عُمْرِي وَأَنَا لَا أَعِي مِنْ فَرَحِي وَأَظُنُّ إِنِّي فِي الْمَنَامِ ثُمَّ قُمْنَا فِي الْغَدِ وَسِرْنَا فِي جِبَالٍ عَالِيَةٍ حَتَّى أَتَيْنَا جَزِيرَةَ الرُّهَا وَفِيهَا شَجَرُ الْكَافُورِ كُلُّ

شَجَرَةٍ مِنْهَا تُظَلِّلُ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَكْثَرَ وَيَسْتَخْرِجُونَهُ بِأَنْ يَثْقُبُوا عَلَى الشَّجَرَةِ فَيَسِيلُ مِنْهَا مَاءُ الْكَافُورِ وَيَمْلَأُ جِرَارًا كَثِيرَةً وَبَعْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ قَطْرُ الْكَافُورِ كَالصَّمْغِ ثُمَّ يَبْطُلُ وَتَجِفُّ الشَّجَرَةُ

وَفِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَحْشٌ يُسَمَّى الْكَرْكَدَنَ كَرَعَايَا الْبَقَرِ دُونَ الْفِيلِ وَأَكْبَرَ مِنَ الْجَامُوسِ وَمَأْكُولُهُ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَلَهُ قَرْنٌ وَاحِدٌ فِي وَسَطِ رَأْسِهِ طُولُهُ ذِرَاعٌ وَعَرْضُهُ قَبْضَةٌ وَهَذَا الْحَيَوَانُ يَشُكُّ الْفِيلَ بِقَرْنِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسِيلُ دُهْنُهُ عَلَى عَيْنَيِ الْكَرْكَدَنِ فَيُعْمِيهِ وَيَبْقَى مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ فَيَأْتِي الرُّخُّ وَيَأْخُذُ الْاِثْنَيْنِ فِي مَخَالِبِهِ وَيُطْعِمُهُمَا فِرَاخَهُ

ثُمَّ إِنِّي بِعْتُ مِنَ الْمَاسِ الَّذِي مَعِي وَتَعَوَّضْتُ شَيْئًا كَثِيرًا وَمَا زِلْتُ أَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَمِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ وَدَخَلْتُ

دارى وَمَعِي مِنَ ٱلْمَالِ مَالَا يُوصَفُ وَلَا يُعَدُّ فَتَصَدَّقْتُ وَأَعْطَيْتُ ٱلْفُقَرَاءَ وَٱلْمُحْتَاجِينَ وَبَقِيتُ عَلَى هَذِهِ ٱلْحَالِ أَقْضِي ٱلْأَوْقَاتَ بِٱلْهَنَاءِ وَٱلْمَسَرَّاتِ وَنَسِيتُ مَا لَاقَيْتُ مِنَ ٱلْمَشَقَّاتِ

﴿ ٧ — ٱلْهَوَاءُ ﴾

مَلَاكٌ اِضْطَرَمَ فَوْرٌ شَفِيفٌ
يَسْتَمِدُّ يَنْفُثُ

مَاذَا يَكُونُ جَوَابُكَ إِذَا سَأَلَكَ سَائِلٌ عَنِ ٱسْمِ ٱلشَّيْءِ ٱلَّذِي يُعْتَبَرُ مَلَاكَ ٱلْحَيَاةِ لِكُلِّ كَائِنٍ حَيَوَانِيٍّ أَوْ نَبَاتِيٍّ وَإِذَا أَسْتَزَدْتَهُ إِيضَاحًا قَالَ لَكَ إِنَّهُ أَشَدُّ لُزُومًا مِمَّا سِوَاهُ مِنْ أَسْبَابِهَا وَمُعِدَّاتِهَا وَلَوْلَاهُ مَا ٱضْطَرَمَتْ نَارٌ وَلَا ٱنْتَشَرَ صَوْتٌ وَلَا طَارَ طَائِرٌ فِي ٱلْجَوِّ وَلَا تَحَرَّكَ سَحَابٌ وَلَا تَلَوَّنَتِ ٱلسَّمَاءُ بِٱللَّوْنِ ٱلْأَزْرَقِ ٱلْجَمِيلِ ٱلَّذِي نَرَاهُ ذَلِكَ هُوَ ٱلْهَوَاءُ ٱلَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَوْ حَيَوَانٌ أَنْ يَحْيَا بِدُونِهِ

وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا سُدَّ أَنْفُ حَيَوَانٍ وَفُوهُ حَتَّى لَا يَدْخُلُهُمَا الْهَوَاءُ انْقَطَعَتْ أَنْفَاسُهُ فَقَضَى مِنْ فَوْرِهِ مَعَ أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُمْسِكَ عَنِ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ أَيَّامًا

وَالْهَوَاءُ جِسْمٌ لَطِيفٌ شَفِيفٌ يُحِيطُ بِالْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَيَعْلُو فَوْقَهَا إِلَى بُعْدٍ لَا يَقِلُّ عَنْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلًا وَهُوَ مُنْتَشِرٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ وَمَا تَظُنُّهُ مِنَ الْأَمْكِنَةِ وَالْآنِيَةِ خَلْوًا مِنَ الْهَوَاءِ إِنَّمَا هُوَ مَمْلُوءٌ بِهِ وَحَسْبُكَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِهِ فِي مَكَانٍ مُغْلَقٍ أَنَّكَ إِذَا حَرَّكْتَ يَدَكَ بِسُرْعَةٍ أَحْسَسْتَ بِهِ يَعْتَرِضُ حَرَكَتَهَا وَهُوَ مُؤَلَّفٌ مِنْ عُنْصُرَيْنِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى الْأُكْسِجِينَ وَالْآخَرُ الْآزُوتَ بِنِسْبَةِ ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى سَبْعَةٍ وَسَبْعِينَ مِنَ الثَّانِي فِي كُلِّ مِائَةِ جُزْءٍ مُقَدَّرَةٍ بِالْوَزْنِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ خَالِصًا بَلْ يَمْتَزِجُ بِمَوَادَّ أُخَرَ كَالْحَامِضِ الْكَرْبُونِيِّ وَبُخَارِ الْمَاءِ وَغَيْرِهِمَا وَيَتَبَادَلُ

ٱلْحَيَوَانُ وَٱلنَّبَاتُ ٱلْهَوَاءَ بَيْنَهُمَا فِي ٱلتَّنَفُّسِ فَٱلْحَيَوَانُ يَسْتَنْشِقُهُ لِيَسْتَمِدَّ مِنْهُ ٱلْأُكْسِجِينَ ٱلَّذِي بِهِ يَنْقَى ٱلدَّمُ وَيَنْفُثُ ٱلْحَامِضَ ٱلْكَرْبُونِيَّ وَبُخَارَ ٱلْمَاءِ وَمَادَّةً حَيَوَانِيَّةً فَاسِدَةً وَيَحْصُلُ ٱلتَّنَفُّسُ فِي ٱلنَّبَاتِ بِوَاسِطَةِ أَوْرَاقِهِ فَتَسْتَمِدُّ مِنَ ٱلْهَوَاءِ ٱلْكَرْبُونَ مِنْ حَامِضِهِ ٱلْكَرْبُونِيِّ وَتُطْلِقُ ٱلْأُكْسِجِينَ بِالنَّهَارِ وَأَمَّا بِاللَّيْلِ فَيُطْلِقُ ٱلنَّبَاتُ ٱلْحَامِضَ ٱلْكَرْبُونِيَّ

﴿ ٨ — دَوْلَةُ ٱلْمَمَالِيكِ فِي مِصْرَ ﴾

يُكَفِّرُ صَادِرَ تُجْبَى مُهَيْمِنٌ ٱلْعِيَالُ

إِنْ كَانَ هُنَاكَ آثَارٌ ظَاهِرَةٌ مَلَكِيَّةٌ فِي مِصْرَ وَٱلشَّامِ فَإِنَّمَا تُنْسَبُ إِلَى هَذِهِ ٱلدَّوْلَةِ تَأَمَّلِ ٱلْمَسَاجِدَ ٱلْكُبْرَى وَمِنْهَا مَا كَانَ مُعَدًّا لِدِرَاسَةِ ٱلْعِلْمِ وَتَعَرَّفْ مَنْ بَنَاهَا تَجِدْهُ مِنْ رِجَالِ دَوْلَةِ ٱلْمَمَالِيكِ وَٱلْمَنْسُوبُ إِلَى غَيْرِهِمْ قَلِيلٌ وَلَعَلَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكَفِّرَ ٱللهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ

السيئات التي كانوا يرتكبونها في أحكامهم

كان الملك والأمير في هذه الدولة حرًا في الرعية فإذا غضب لا يقوم لغضبه شيء فإن شاء قتل وإن شاء صادر فأخذ الأموال وفضح العيال وليس هناك من يقدر أن يقول له لم فعلت ولم قتلت

وإذا احتاج الملك منهم إلى شيء من النقود لسد حاجة من حاجاته فسرعان ما يصدر أمره بأنواع من المظالم فتجبى الأموال ويلاقي الناس من العذاب ما لا مثيل له حتى تربت الرعية على الخوف والرعب ورأوا أن حيلتهم الوحيدة للخلاص من الشر أحيانًا إنما هي الكذب وقلما كان ينجيهم لأن أنواع العقوبات التي كانت تنصب حينئذ على بدن المنكر تخرج منه ما عنده فيعدم نفسه ويعدم ماله

وكانت المظالم التي تجبى بها الأموال تكثر

وَتَقِلُّ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ عَلَيْهِ ٱلْمُلُوكُ مِنَ ٱلْعَدْلِ وَٱلظُّلْمِ وَخَيْرُ ٱلْمُلُوكِ مِنْ هٰذِهِ ٱلْجِهَةِ ٱلسُّلْطَانُ ٱلنَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُنَ فَإِنَّهُ أَبْطَلَ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَظَالِمِ

وَقَدْ نَبَغَ فِي مِصْرَ فِي أَيَّامِهِمْ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ ٱلدِّينِ كَجَلَالِ ٱلدِّينِ ٱلسُّيُوطِيِّ وَشَيْخِ ٱلْإِسْلَامِ زَكَرِيَّا ٱلْأَنْصَارِيِّ وَغَيْرِهِمَا

وَبِٱلْجُمْلَةِ فَسَلْطَنَةُ ٱلْمَمَالِيكِ عَلَى مِصْرَ كَانَ شَرُّهَا أَكْثَرَ مِنْ خَيْرِهَا وَيَكْفِي ٱلْأُمَّةَ عَارًا وَحِطَّةً أَنْ يُشْتَرَى ٱلْمَمْلُوكُ ٱلْيَوْمَ بِٱلدَّرَاهِمِ ثُمَّ يَصِيرُ بَعْدَ حِينٍ مَلِكًا مُهَيْمِنًا عَلَيْهَا

(تاريخ الشيخ الخضرى)

﴿ ٩ — فِي طَلَبِ ٱلْمَعَالِي وَعِزَّةِ ٱلنَّفْسِ ﴾

تَبْرَحُ	أَهَابَ	مُبْتَذَلٌ	يُزْهَى
شَوْطٌ	ٱلسِّفْلُ	دَرَجَ	دَخَلٌ
يُعَوِّلُ	مُعْجِزَةٌ	وَجَلٌ	دَارَةٌ

إِنَّ ٱلْعُلاَ حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَةٌ
فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ ٱلْعِزَّ فِي ٱلنُّقَلِ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ ٱلْمَأْوَى بُلُوغَ مُنًى
لَمْ تَبْرَحِ ٱلشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ ٱلْحَمَلِ
أَهَبْتُ بِٱلْحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعًا
وَٱلْحَظُّ عَنِّيَ بِٱلْجُهَّالِ فِي شُغُلِ
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَا فَضْلِي وَنَقْصُهُمُ
لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلْآمَالِ أَرْقُبُهَا
مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ ٱلْأَمَلِ
لَمْ أَرْضَ بِٱلْعَيْشِ وَٱلْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ
فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ
غَالَى بِنَفْسِيَ عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا
فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ ٱلْقَدْرِ مُبْتَذَلِ

وَعَادَةُ ٱلنَّصْلِ أَنْ يُزْهَى بِجَوْهَرِهِ
وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيْ بَطَلِ

مَا كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي
حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ ٱلْأَوْغَادِ وَٱلسِّفَلِ

تَقَدَّمَتْنِي أُنَاسٌ كَانَ شَوْطُهُمُ
وَرَاءَ خَطْوِيَ لَوْ أَمْشِي عَلَى مَهَلِ

هَذَا جَزَاءُ ٱمْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا
مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ ٱلْأَجَلِ

وَإِنْ عَلَانِيَ مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ
لِي أُسْوَةٌ بِانْحِطَاطِ ٱلشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

فَٱصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِرٍ
فِي حَادِثِ ٱلدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ ٱلْحِيَلِ

أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ
فَحَاذِرِ ٱلنَّاسَ وَٱصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ

فَإِنَّمَا رَجُلُ ٱلدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِٱلْأَيَّامِ مُعْجِزَةٌ
فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

(الطغرائى)

﴿ ١٠ — أَجْسَامُنَا (١) ﴾

شُبْهَةٌ عِمَادٌ ٱلْجُمْجُمَةُ عِرْنِينٌ
ٱلْوَجْنَةُ

لَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ كُلًّا مِنَّا يُحِسُّ أَنَّ بِهِ قِطَعًا صُلْبَةً يَنْبَنِي عَلَيْهَا جِسْمُهُ وَهَذِهِ ٱلْقِطَعُ ٱلصُّلْبَةُ تُكَوِّنُ مَا يُسَمَّى ٱلْهَيْكَلَ ٱلْعَظْمِيَّ وَلَا تَقِلُّ فِي عَدَدِهَا عَنْ مِائَتَيْ قِطْعَةٍ مُنْفَصِلٍ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مُمَيَّزَةٍ فِي أَشْكَالِهَا وَأَقْدَارِهَا وَوَظِيفَتُهَا أَنْ تَكُونَ عِمَادًا لِلْأَجْزَاءِ ٱللَّحْمِيَّةِ وَأَنْ تُكْسِبَ ٱلْجِسْمَ قُوَّةً وَمَتَانَةً وَٱلْهَيْكَلُ ٱلْعَظْمِيُّ هُوَ ٱلَّذِي

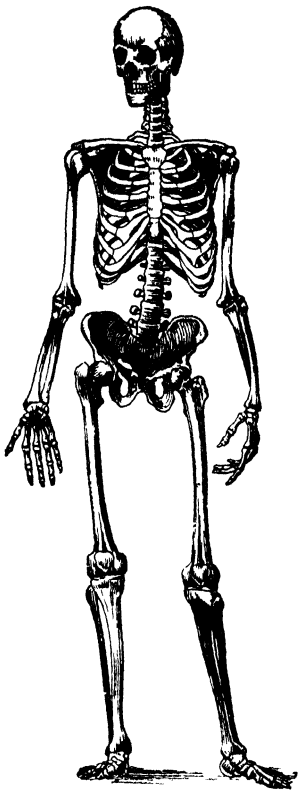

يُعَيِّنُ شَكْلَ الْجِسْمِ وَبِهِ يُمْكِنُ الْحُكْمُ عَلَى نَوْعِ الْحَيَوَانِ

وَالْأَقْسَامُ الْأَسَاسِيَّةُ لِلْهَيْكَلِ الْعَظْمِيِّ ثَلَاثَةٌ الرَّأْسُ وَالْجِذْعُ وَالْأَطْرَافُ

يَتَرَكَّبُ الرَّأْسُ مِنْ جُزْءَيْنِ الْجُمْجُمَةُ وَالْوَجْهُ فَالْجُمْجُمَةُ صُنْدُوقٌ مُجَوَّفٌ وَظِيفَتُهُ تَغْلِيفُ الدِّمَاغِ وَوِقَايَتُهُ وَهِيَ تَتَرَكَّبُ مِنْ ثَمَانِي قِطَعٍ عَظِيمَةٍ مُثَبَّتٍ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ تَثْبِيتاً مُحْكَماً وَأَمَّا الْوَجْهُ فَيَشْمَلُ بَاقِيَ الرَّأْسِ وَعَدَدُ الْعِظَامِ فِيهِ لَا يَقِلُّ عَنْ أَرْبَعَ عَشَرَةَ قِطْعَةً وَأَعْجَبُ مَا يُلَاحَظُ فِي وَضْعِ هَذِهِ الْعِظَامِ مَا كَانَ خَاصّاً بِإِحْكَامِ

وَضْعِ ٱلْعَيْنَيْنِ فِي نُقْرَتَيْنِ فِي ٱلْعِظَامِ
هُمَا ٱلْمَحْجِرَانِ وَأَعْجَبُ مِنْ هٰذَا
وِقَايَتُهُمَا مِنْ فَوْقُ بِالْجَبْهَةِ وَمِنْ تَحْتُ
بِعَظْمَيِ ٱلْوَجْنَتَيْنِ وَمِنْ بَيْنِهِمَا بِعِرْنِينِ ٱلْأَنْفِ وَلَيْسَ
مِنْ عِظَامِ ٱلْوَجْهِ ٱلْأَرْبَعَةَ عَشَرَ إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ
عَظْمُ ٱلْفَكِّ ٱلسُّفْلِيِّ يَتَحَرَّكُ لِفَتْحِ ٱلْفَمِ أَوْ إِغْلَاقِهِ وَيَتَّصِلُ
عَظْمُ ٱلْفَكِّ بِعَظْمِ ٱلْجُمْجُمَةِ بِمَفْصِلٍ وَفِي ٱلْفَكَّيْنِ أَسْنَانٌ
لِتَمْزِيقِ ٱلْأَغْذِيَةِ وَمَضْغِهَا وَهِيَ فِي ٱلْأَطْفَالِ عِشْرُونَ وَتُسَمَّى
أَسْنَانَ ٱللَّبَنِ أَوْ أَسْنَانَ ٱلْإِسْنَانِ ٱلْأَوَّلِ وَفِي ٱلْكِبَارِ
ٱثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ وَتُسَمَّى ٱلْأَسْنَانَ ٱلْمُعَوِّضَةَ أَوْ أَسْنَانَ
ٱلْإِسْنَانِ ٱلثَّانِي وَتَبْقَى هٰذِهِ مَعَ ٱلْإِنْسَانِ إِلَى مَاشَاءَ ٱللهُ

﴿ ١١ — أَجْسَامُنَا (٢) ﴾

ٱلْمَحَالَةُ ٱلْفِقْرِيُّ ٱلْقَصُّ ٱلْحَوْضُ غُضْرُوفِيَّةٌ
ٱلْعُصْعُصِيَّةُ ٱلْعَجُزِيَّةُ ٱلْحَرْقَفَةُ ٱلْقَطَنِيَّةُ

جِذْعُ ٱلْإِنْسَانِ هُوَ ذَٰلِكَ ٱلْجُزْءُ مِنْ جِسْمِهِ ٱلَّذِي يَبْقَى إِذَا فُصِلَتْ مِنْهُ ٱلرَّأْسُ وَٱلْأَطْرَافُ وَيَتَكَوَّنُ مِنْ جُزْءٍ أَصْلِيٍّ هُوَ ٱلْمِحَالَةُ أَوِ ٱلْعَمُودُ ٱلْفِقْرِيُّ وَمِنْ أَجْزَاءٍ فَرْعِيَّةٍ هِيَ ٱلْقَصُّ وَٱلْأَضْلَاعُ وَٱلْحَوْضُ وَيَمْتَدُّ ٱلْعَمُودُ ٱلْفِقْرِيُّ مِنْ أَسْفَلِ ٱلرَّأْسِ وَٱلْعُنُقِ إِلَى أَسْفَلِ ٱلطَّرَفِ ٱلْخَلْفِيِّ مِنَ ٱلْجِذْعِ وَيَتَكَوَّنُ مِنْ عَدَدٍ

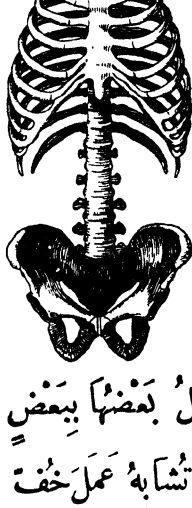

كَبِيرٍ مِنْ عِظَامٍ صَغِيرَةٍ تُسَمَّى ٱلْفِقَرَ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَبَيْنَ كُلِّ فِقْرَةٍ وَأُخْرَى طَبَقَةٌ غُضْرُوفِيَّةٌ تُشَابِهُ عَمَلَ خُفِّ ٱلْبَعِيرِ لِتَخْفِيفِ ٱصْطِدَامِ عِظَامِ ٱلْفِقَرِ عِنْدَ ٱلْحَرَكَةِ وَفِقَرَاتُ ٱلْإِنْسَانِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَبْعٌ عُنُقِيَّةٌ تَحْمِلُ ٱلرَّأْسَ وَيَلِي هٰذِهِ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ فِقْرَةً ظَهْرِيَّةً تَحْمِلُ كُلٌّ مِنْهَا ضِلَعَيْنِ وَاحِداً مِنْ كُلِّ جَنْبٍ وَهٰذِهِ ٱلْأَضْلَاعُ وَعَدَدُهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ هِيَ ٱلَّتِي تُكَوِّنُ ٱلْقَفَصَ ٱلْعَظْمِيَّ ٱلَّذِي نُسَمِّيهِ ٱلصَّدْرَ

وَمِنْ هٰذِهِ ٱلْأَضْلَاعِ سَبْعَةُ أَزْوَاجٍ تَنْضَمُّ إِلَى ٱلْأَمَامِ بِعَظْمٍ وَاحِدٍ يُسَمَّى ٱلْقَصَّ وَأَمَّا ٱلْخَمْسَةُ ٱلْبَاقِيَةُ فَلَا تَمْتَدُّ إِلَى هٰذَا ٱلْعَظْمِ

وَمِنَ ٱلْغَرِيبِ أَنَّ ٱلْفِقْرَاتِ فِي ٱلْأَطْفَالِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ وَفِي ٱلْكِبَارِ سِتٌّ وَعِشْرُونَ وَٱلسَّبَبُ فِي ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْفِقْرَاتِ ٱلْأَرْبَعَ ٱلسُّفْلَى وَتُسَمَّى ٱلْعُصْعُصِيَّةَ تَلْتَحِمُ وَتُكَوِّنُ عَظْمًا وَاحِدًا يُقَابِلُ ٱلذَّيْلَ فِي ٱلْحَيَوَانِ ٱلْأَعْجَمِ وَتَلْتَحِمُ أَيْضًا ٱلْخَمْسُ ٱلْفِقْرَاتُ ٱلَّتِي تَلِيهَا مِنْ فَوْقُ وَتُسَمَّى ٱلْفِقْرَاتِ ٱلْعَجُزِيَّةَ فَتُكَوِّنُ عَظْمًا وَاحِدًا يُسَمَّى ٱلْعَجُزَ وَفَوْقَ ٱلْعَجُزِ خَمْسُ فِقْرَاتٍ تُسَمَّى ٱلْفِقْرَاتِ ٱلْقَطَنِيَّةَ وَأَمَّا ٱلْحَوْضُ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ ٱلدَّائِرَةِ ٱلَّتِي تَتَكَوَّنُ بِٱلْتِحَامِ عَظْمِ ٱلْحَرْقَفَةِ بِعَظْمِ ٱلْعَجُزِ أَسْفَلَ ٱلْعَمُودِ ٱلْفِقْرِيِّ

وَٱلْأَطْرَافُ أَرْبَعَةٌ ٱثْنَانِ عُلْوِيَّانِ وَٱثْنَانِ سُفْلِيَّانِ وَيَتَكَوَّنُ كُلُّ طَرَفٍ مِنَ ٱلطَّرَفَيْنِ ٱلْعُلْوِيَّيْنِ مِنْ ذِرَاعٍ

وَسَاعِدٍ وَيَدٍ وَيَتَكَوَّنُ كُلٌّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ السُّفْلِيَّيْنِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ وَهِيَ الْفَخِذُ وَالسَّاقُ وَالْقَدَمُ

﴿ ١٢ — التَّارِيخُ (١) ﴾

حَضَارَةٌ أَقَاصِيصُ الْأُمْتِهَانُ تَدْوِينٌ
مُنْسَقَةٌ الرِّحَالَةُ رِقَاعٌ الذَّائِعُ

كَانَ التَّارِيخُ فِي أَوَّلِ حَضَارَةِ الدُّنْيَا حِكَايَاتٍ وَأَقَاصِيصَ يَتَنَاقَلُهَا النَّاسُ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ وَيُلْبِسُونَهَا مِنَ الزُّخْرُفِ وَالْغَرَابَةِ ثَوْبًا يَجْعَلُ جُلَّهَا مُسْتَحِيلاً لَا يَلْقَى إِلَّا التَّكْذِيبَ وَالْأُمْتِهَانَ لِأَنَّ النَّقْلَ بِاللِّسَانِ عُرْضَةٌ لِلتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ حَتَّى إِذَا مَا ابْتُدِعَتِ الْكِتَابَةُ سَارَعَ النَّاسُ إِلَى تَدْوِينِ أَعْمَالِهِمْ إِنْ كَانُوا عِظَامًا أَوْ تَدْوِينِ الْحَوَادِثِ الْعَظِيمَةِ إِذَا تَرَكَتْ أَثَرًا فِي نُفُوسِهِمْ

وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ عِلْمَ التَّارِيخِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ وَلَكِنَّ قُدَمَاءَ الْمِصْرِيِّينَ كَانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ مَيْلاً إِلَى تَدْوِينِ

عاداتهم وصنائعهم وحوادثهم بالكتابة التصويرية تارة بالنقش على الأحجار كما يرى الآن في معابدهم وآثار أبنيتهم وطورا على رقاع البردي المودعة في كثير من المتاحف وأول كتاب مقدس دونت فيه الحوادث والوقائع التاريخية بطريقة منسقة هو التوراة ويقال إنها كتبت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وفي القرن العاشر قبل الميلاد نظم هوميروس الشاعر اليوناني الشهير شعره القصصي الذي ضمنه تاريخ اليونان القديم وانتصارهم على أمم الأرض المعروفة في ذلك الزمان وما أتاه أبطال اليونان من مجيد الأعمال التي أكسبت اليونانيين عطف أوربا واحترامها وأول من كتب التاريخ على الطريقة العلمية هو هيرودتس الرحالة الذائع الصيت الملقب بأبي التاريخ وقد ضمن كتابه تاريخ الأمم القديمة إلى عهده في القرن الخامس

قَبْلَ ٱلْمِيلَادِ

﴿ ١٣ — ٱلتَّارِيخُ (٢) ﴾

عُمْدَةٌ كَهَنَةٌ عِبْرَانِيٌّ ٱسْتُقْصِيَ
زُهَاءُ حَذَا

فِي ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعِ قَبْلَ ٱلْمِيلَادِ ظَهَرَ مُؤَرِّخٌ ٱسْمُهُ تِسِيَاسُ وَهُوَ طَبِيبٌ فَارِسِيٌّ كَتَبَ كِتَابًا فِي تَارِيخِ ٱلْفُرْسِ ٱلْقَدِيمِ

وَهُومِيرُسُ وَهِيرُودُتُسُ وَتِسِيَاسُ هُمْ عُمْدَةُ ٱلتَّارِيخِ ٱلْقَدِيمِ وَإِلَيْهِمُ ٱلْمَرْجِعُ فِي تَحْقِيقِ ٱلْحَوَادِثِ ٱلتَّارِيخِيَّةِ ٱلْقَدِيمَةِ فِيمَا عَدَا ٱلتَّارِيخَ ٱلْمُقَدَّسَ وَقَدْ حَذَا حَذْوَ هَؤُلَاءِ كَثِيرُونَ مِمَّنْ جَاءُوا بَعْدَهُمْ وَفِي جُمْلَتِهِمْ سِيَانْتِسُوسُ أَحَدُ كَهَنَةِ ٱلْمِصْرِيِّينَ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلثَّالِثِ قَبْلَ ٱلْمِيلَادِ وَكَتَبَ تَارِيخًا عَنْ مِصْرَ لَمْ يَصِلْنَا مِنْهُ إِلَّا مَا نَقَلَهُ مُؤَرِّخٌ عِبْرَانِيٌّ عَنْهُ وَظَهَرَ بَعْدَ هَذَا مِيثُودُرُسُ ٱلصِّقِلِّيُّ نَحْوَ زَمَنِ ٱلْمِيلَادِ

**** *** *** ***

وَشَاعَ عِلْمُ التَّارِيخِ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى قِرَاءَتِهِ فَنَشَأَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَحَضِّرَةِ وَأَمَّا مَاجَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ مِنَ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا آيَاتٍ أَطْلَعَ اللهُ عَلَيْهَا عِبَادَهُ لِتَكُونَ لَهُمْ هُدًى وَرَحْمَةً وَعِبْرَةً وَذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

وَقَدْ نَبَغَ فِي التَّارِيخِ مِنَ الْعَرَبِ كَثِيرُونَ اسْتُقْصِيَ مَاأَلَّفُوهُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَبَلَغَ زُهَاءَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ كِتَابٍ مِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِنَحْوِ بَلْدَةٍ أَوْ فَرْدٍ مِنَ النَّاسِ وَمِنْهُ مَاهُوَ عَامٌّ وَأَشْهَرُهَا تَارِيخُ الْمَسْعُودِيِّ وَتَارِيخُ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ وَابْنِ خَلْدُونٍ وَابْنِ خِلِّكَانَ وَابْنِ الْأَثِيرِ وَأَبِي الْفِدَاءِ وَالْمَقْرِيزِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَهَؤُلَاءِ ثِقَاتُ تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ وَعُمْدَةُ مُؤَرِّخِيهِمْ

« ١٤ — الِاعْتِرَافُ بِالْجَمِيلِ »

بِطَانَةٌ الْخَوَارِجُ مُوَلٍّ قِلَادَةٌ

صِلَةٌ

كَانَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمَنْصُورُ يَتَطَلَّعُ إِلَى ٱلْإِحَاطَةِ بِأُمُورِ ٱلنَّاسِ عُمُوماً وَإِلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ بَنِي أُمَيَّةَ خُصُوصاً فَبَلَغَهُ أَنَّ مِنْ مَشَايِخِ أَهْلِ ٱلشَّامِ شَيْخاً مَعْرُوفاً وَكَانَ بِطَانَةً لِهِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ٱلْمَنْصُورُ وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ تَدْبِيرِ هِشَامٍ فِي حُرُوبِهِ مَعَ ٱلْخَوَارِجِ فَوَصَفَ لَهُ ٱلشَّيْخُ مَادَبَّرَ وَقَالَ « فَعَلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَذَا وَكَذَا » فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ « قُمْ عَنِّي تَطَأْ بِسَاطِي وَتَتَرَحَّمُ عَلَى عَدُوِّي » فَقَالَ ٱلرَّجُلُ وَهُوَ مُوَلٍّ يُرِيدُ ٱلْخُرُوجَ « إِنَّ نِعْمَةَ عَدُوِّكَ لَقِلَادَةٌ فِي عُنُقِي لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا غَاسِلٌ » فَلَمَّا سَمِعَهُ ٱلْمَنْصُورُ قَالَ « رُدُّوهُ » فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ « يَاأَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لُؤْماً مَنْ لَمْ يَجْعَلْ دُعَاءَهُ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَثَنَاءَهُ عَلَيْهِ وَحَمْدَهُ لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَهُ وَفَاءً لَهُ وَلَوْ أَمْكَنَنِي ٱلْقَدَرُ وَأَقْدَرَنِي ٱلْقَضَاءُ عَلَى

ٱلْوَفَاءِ لِهِشَامٍ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لَوَجَدَنِي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَافِيًا لَهُ بِهِ » فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ « ٱرْجِعْ يَاشَيْخُ إِلَى تَمَامِ حَدِيثِكَ » ثُمَّ أَقْبَلَ ٱلْمَنْصُورُ عَلَى حَدِيثِهِ إِلَى أَنْ فَرَغَ فَدَعَا ٱلْمَنْصُورُ بِمَالٍ وَكُسْوَةٍ وَقَالَ « خُذْ هَذَا صِلَةً مِنَّا لَكَ » فَأَخَذَ ذَلِكَ وَقَالَ « وَٱللهِ يَاأَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَابِي مِنْ حَاجَةٍ وَلَقَدْ مَاتَ عَنِّي مَنْ كُنْتُ فِي ذِكْرِهِ فَمَا أَحْوَجَنِي إِلَى وُقُوفِي عَلَى بَابِ أَحَدٍ بَعْدَهُ وَلَوْلَا جَلَالُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلُزُومُ طَاعَتِهِ وَإِيثَارُ أَمْرِهِ لَمَا لَبِسْتُ نِعْمَةَ أَحَدٍ بَعْدَهُ » فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ « لِلّٰهِ أَنْتَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِقَوْمِهِ غَيْرُكَ لَكُنْتَ أَبْقَيْتَ لَهُمْ ذِكْرًا مُخَلَّدًا وَمَجْدًا بَاقِيًا بِوَفَائِكَ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ »

(العقد الفريد للملك السعيد)

﴿ ١٥ — (١) يَعْسُوبُ ٱلنَّحْلِ ﴾

بُنْيَةٌ مُدْمَجٌ مُكْتَنَفَاتٌ حُمَةٌ

اَلرَّخاوَةُ أَتَنَسَّمُ أَزْجُرُ

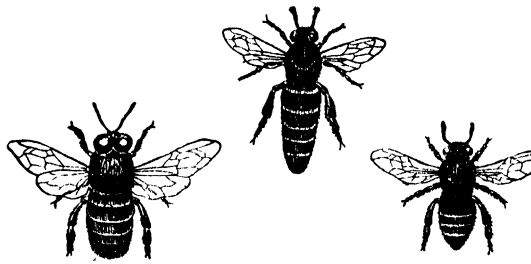

إِنَّ اللهَ تَعالَى جَعَلَ بُنْيَةَ جَسَدِى ثَلاثَةَ مَفاصِلَ مَخْزُوزَةٍ فَجَعَلَ وَسَطَ جَسَدِى مُرَبَّعًا مُكَعَّبًا وَمُؤَخَّرَ جَسَدِى مُدْمَجًا مَخْرُوطًا وَرَأْسِى مُدَوَّرًا مَبْسُوطًا وَرَكَّبَ فِى وَسَطِى أَرْبَعَ أَرْجُلٍ وَيَدَيْنِ مُتَناسِباتِ الْمَقادِيرِ كَأَضْلاعِ الشَّكْلِ الْمُسَدَّسِ فِى الدَّائِرَةِ لِأَسْتَعِينَ بِها عَلَى الْقِيامِ وَالْقُعُودِ وَالْوُقُوعِ وَالنُّهُوضِ وَأُقَدِّرَ بِناءَ أَساسِ مَنْزِلِى وَبُيُوتِى عَلَى أَشْكالِ مُسَدَّساتٍ مُكْتَنِفاتٍ كَىْ لا يَدْخُلَها الْهَواءُ فَيَضُرَّ بِأَوْلادِى أَوْ يُفْسِدَ شَرابِى الَّذِى هُوَ قُوتِى وَذَخائِرِى وَبِهَذِهِ الْأَرْبَعِ الْأَرْجُلِ وَالْيَدَيْنِ أَجْمَعُ مِنْ وَرَقِ الْأَشْجارِ وَالزَّهْرِ وَالثِّمارِ الرُّطُوباتِ الدُّهْنِيَّةَ

وَجَعَلَ عَلَى كَتِفَيَّ أَرْبَعَةَ أَجْنِحَةٍ خَفِيفَةٍ حَرِيرِيَّةٍ لِأَسِيحَ فِي ٱلطَّيَرَانِ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ وَجَعَلَ مُؤَخَّرَ بَدَنِي مَخْرُوطَ ٱلشَّكْلِ مُجَوَّفًا مُدْمَجًا مَمْلُوءًا هَوَاءً لِيَكُونَ مُؤَازِيًا لِثِقَلِ رَأْسِي فِي ٱلطَّيَرَانِ وَجَعَلَ لِي حُمَةً حَادَّةً كَأَنَّهَا شَوْكَةٌ وَجَعَلَهَا سِلَاحًا لِي لِأُخَوِّفَ بِهَا أَعْدَائِي وَأَزْجُرَ بِهَا مَنْ يَتَعَرَّضُ لِي أَوْ يُؤْذِينِي وَجَعَلَ رَقَبَتِي دَقِيقَةً لِيَسْهُلَ بِهَا تَحْرِيكُ رَأْسِي يَمْنَةً وَيَسْرَةً وَجَعَلَ رَأْسِي مُدَوَّرًا عَرِيضًا وَفِي جَنْبَيْهِ عَيْنَيْنِ بَرَّاقَتَيْنِ كَأَنَّهُمَا مِرْآتَانِ مَجْلُوَّتَانِ وَجَعَلَهُمَا آلَةً لِي لِإِدْرَاكِ ٱلْمَرْئِيَّاتِ وَٱلْمُبْصَرَاتِ مِنَ ٱلْأَلْوَانِ وَٱلْأَشْكَالِ فِي ٱلْأَنْوَارِ وَٱلظُّلُمَاتِ

وَأَنْبَتَ عَلَى رَأْسِي شِبْهَ قَرْنَيْنِ لَطِيفَيْنِ لَيِّنَيْنِ وَجَعَلَهُمَا آلَةً لِي لِأُحِسَّ بِهِمَا ٱلْمَلْمُوسَاتِ فَأُمَيِّزَ ٱللُّيُونَةَ مِنَ ٱلْخُشُونَةِ وَٱلصَّلَابَةَ مِنَ ٱلرَّخَاوَةِ وَٱلرُّطُوبَةَ مِنَ ٱلْيُبُوسَةِ وَفَتَحَ لِي مَنْخَرَيْنِ أَتَنَسَّمُ بِهِمَا ٱلرَّوَائِحَ ٱلطَّيِّبَاتِ

(رسائل اخوان الصفا)

﴿ ١٦ — يَعْسُوبُ ٱلنَّحْلِ (٢) ﴾

مِشْفَرٌ ضُرُوعٌ سَائِغٌ ٱلدِّحَالُ
يَسْتَأْثِرُ ٱلْمُضْطَرُّ وَهْبٌ ٱلدُّفُوفُ
ٱلدِّنِسُ

وَجَعَلَ لِى فَمًا مَفْتُوحًا فِيهِ قُوَّةٌ ذَائِقَةٌ أَتَعَرَّفُ بِهَا ٱلطُّعُومَ ٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلْمَطْعُومَاتِ ٱلْمَأْكُولَاتِ وَٱلْمَشْرُوبَاتِ وَجَعَلَ لِى مِشْفَرَيْنِ حَادَّيْنِ أَجْمَعُ بِهِمَا مِنْ ثَمَرِ ٱلْأَشْجَارِ وَمِنْ وَرَقِ ٱلنَّبَاتِ وَٱلْأَزْهَارِ وَأَنْوَارِ ٱلْأَشْجَارِ رُطُوبَاتٍ لَطِيفَةً وَجَعَلَ فِى جَوْفِنَا قُوَّةً جَاذِبَةً وَمَاسِكَةً وَهَاضِمَةً طَابِخَةً وَمُنْضِجَةً تُصَيِّرُ تِلْكَ ٱلرُّطُوبَاتِ عَسَلًا حُلْوًا لَذِيذًا شَرَابًا صَافِيًا غِذَاءً لِى وَلِأَوْلَادِى وَذُخْرًا وَعَوْنًا لِشَتْوَتِنَا كَمَا جَعَلَ فِى ضُرُوعِ ٱلْأَنْعَامِ قُوَّةً هَاضِمَةً تُصَيِّرُ ٱلدَّمَ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ

وَلِي جُنُودٌ وَأَعْوَانٌ وَرَعِيَّةٌ آوِي بِهِمْ فِي رُءُوسِ
الْجِبَالِ وَالتِّلَالِ وَبَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالدِّحَالِ وَمِنَّا مَنْ يُجَاوِرُ
بَنِي آدَمَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدِيَارِهِمْ فَأَمَّا مَنْ بَعُدَ مِنَّا عَنْهُمْ فَسَلِمَ
عَلَى الْأَمْرِ الْأَكْثَرِ وَلَكِنْ رُبَّمَا يَجِيئُونَ إِلَيْنَا فِي طَلَبِنَا
وَيَتَعَرَّضُونَ لَنَا بِالْأَذِيَّةِ فَإِذَا ظَفِرُوا بِنَا خَرَّبُوا مَنَازِلَنَا
وَهَدَّمُوا بُيُوتَنَا وَلَمْ يُبَالُوا أَنْ يَقْتُلُوا أَوْلَادَنَا وَيَأْخُذُوا

مَكَاسِبَنَا وَذَخَائِرَنَا وَيَتَقَاسَمُوهَا وَيَسْتَأْثِرُوا بِهَا دُونَنَا وَنَحْنُ نَصْبِرُ صَبْرَ الْمُضْطَرِّ تَارَةً كَرْهًا وَتَارَةً رَهَبًا وَتَسْلِيمًا إِنْ عَصَيْنَا وَهَرَبْنَا وَتَبَاعَدْنَا جَاءُوا خَلْفَنَا يَطْلُبُونَ الصُّلْحَ وَيُرْضُونَنَا بِالْهَدَايَا مِنَ الْعِطْرِ وَبِأَلْوَانٍ مِنَ الْخَيْلِ مِنْ أَصْوَاتِ الطُّبُولِ وَالدُّفُوفِ وَالزُّمُورِ وَالْهَدَايَا الْمُزَخْرَفَةِ مِنَ الدِّبْسِ وَالتَّمْرِ فَنُصَالِحُهُمْ لِمَا فِي طِبَاعِنَا مِنَ الْخَيْرِ وَمَا فِي صُدُورِنَا مِنَ السَّلَامَةِ وَقِلَّةِ الْحِقْدِ وَالْحَمِيَّةِ

(رسائل اخوان الصفا)

﴿ ١٧ الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ بِدِمَشْقَ (١) ﴾

اِحْتِفَالٌ الْفُسَيْفِسَاءُ زَرْعٌ شَمَسَاتٌ

سَارِيَةٌ مَحَارِيبُ الْعَشَايَا مُوَصَّعٌ

جِصِّيَّةٌ يَمُجُّ

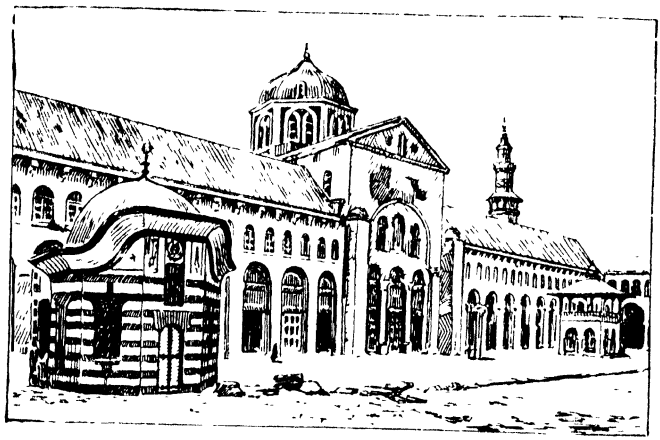

اَلْجَامِعُ ٱلْأُمَوِىُّ هُوَ أَعْظَمُ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا ٱحْتِفَالاً وَأَتْقَنُهَا صِنَاعَةً وَأَبْدَعُهَا حُسْنًا وَبَهْجَةً وَكَمَالًا وَلَا يُعْلَمُ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا يُوجَدُ لَهُ شَبِيهٌ وَكَانَ ٱلَّذِى تَوَلَّى بِنَاءَهُ وَإِتْقَانَهُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَوَجَّهَ إِلَى مَلِكِ ٱلرُّومِ بِٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ لَهُ ٱلصُّنَّاعَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ٱثْنَىْ عَشَرَ أَلْفَ صَانِعٍ وَكَانَ مَوْضِعُ ٱلْمَسْجِدِ كَنِيسَةً قَدِيمَةً لِلرُّومِ وَقَدْ زُيِّنَ هَذَا ٱلْمَسْجِدُ بِفُصُوصِ ٱلذَّهَبِ ٱلْمَعْرُوفَةِ بِٱلْفُسَيْفِسَاءِ تُخَالِطُهَا أَنْوَاعُ

ٱلْأَصْبَغَةِ ٱلْغَرِيبَةِ ٱلْحُسْنِ وَذَرْعُ ٱلْمَسْجِدِ فِي ٱلطُّولِ مِنَ ٱلشَّرْقِ إِلَى ٱلْغَرْبِ مِائَتَا خُطْوَةٍ وَهِيَ ثَلَٰثُمِائَةِ ذِرَاعٍ وَعَرْضُهُ مِنَ ٱلْقِبْلَةِ إِلَى ٱلْجَوْفِ مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَثَلَاثُونَ خُطْوَةً وَهِيَ مِائَتَا ذِرَاعٍ وَعَدَدُ شَمَسَاتِ ٱلزُّجَاجِ ٱلْمُلَوَّنَةِ ٱلَّتِي فِيهِ أَرْبَعٌ وَسَبْعُونَ وَبَلَاطَاتُهُ ثَلَاثٌ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ سَعَةُ كُلِّ بَلَاطَةٍ مِنْهَا ثَمَانِي عَشَرَةَ خُطْوَةً وَقَدْ قَامَتْ عَلَى أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ سَارِيَةً وَثَمَانِي أَرْجُلٍ جِصِّيَّةٍ تَتَخَلَّلُهَا وَسِتُّ أَرْجُلٍ مُرَخَّمَةٍ مُرَصَّعَةٍ بِٱلرُّخَامِ ٱلْمُلَوَّنِ قَدْ صُوِّرَ فِيهَا أَشْكَالُ مَحَارِيبَ وَسِوَاهَا وَهِيَ تُقِلُّ قُبَّةَ ٱلرَّصَاصِ ٱلَّتِي أَمَامَ ٱلْمِحْرَابِ ٱلْمُسَمَّاةَ بِقُبَّةِ ٱلنَّسْرِ وَهِيَ مِنْ أَعْجَبِ مَبَانِي ٱلدُّنْيَا وَسَعَةُ ٱلصَّحْنِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ ٱلْمَنَاظِرِ وَأَتَمِّهَا صُنْعًا وَبِهِ يَجْتَمِعُ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ بِٱلْعَشَايَا فَمِنْ قَارِئٍ وَمُحَدِّثٍ وَذَاهِبٍ وَيَكُونُ ٱنْصِرَافُهُمْ بَعْدَ ٱلْعِشَاءِ وَفِي هَذَا ٱلصَّحْنِ ثَلَاثٌ مِنَ ٱلْقِبَابِ أَكْبَرُهَا فِي

غَرْبِهِ وَتُسَمَّى قُبَّةَ عَائِشَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْقُبَّةُ ٱلثَّانِيَةُ فِي ٱلشَّرْقِ وَهِيَ أَصْغَرُ مِنْهَا وَتُسَمَّى قُبَّةَ زَيْنِ ٱلْعَابِدِينَ وَٱلثَّالِثَةُ فِي ٱلْوَسَطِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ مُثَمَّنَةٌ مِنْ رُخَامٍ عَجِيبٍ مُحْكَمِ ٱلْإِلْتِصَاقِ وَتَحْتَهَا شُبَّاكُ حَدِيدٍ فِي وَسَطِهِ أُنْبُوبُ نُحَاسٍ يَمُجُّ ٱلْمَاءَ إِلَى عُلْوٍ فَيَرْتَفِعُ ثُمَّ يَنْثَنِي كَأَنَّهُ قَضِيبُ جُلَيْنٍ وَهُمْ يُسَمُّونَهُ قَفَصَ ٱلْمَاءِ وَيَسْتَحْسِنُ ٱلنَّاسُ وَضْعَ أَفْوَاهِهِمْ فِيهِ لِلشُّرْبِ

(ابن بطوطة)

﴿ ١٨ - ٱلْجَامِعُ ٱلْأُمَوِيُّ بِدِمَشْقَ (٢) ﴾

يُفْضِي ٱلْمَقْصُورَةُ صَوَامِعُ صِهْرِيجُ

تَابُوتٌ مُعْلَمٌ إِثْرٌ

هَذَا ٱلْمَسْجِدُ شَهِيرُ ٱلْفَضْلِ وَيُقَالُ إِنَّ ٱلْجِدَارَ ٱلْقِبْلِيَّ مِنْهُ وَضَعَهُ نَبِيُّ ٱللهِ هُودٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَإِنَّ قَبْرَهُ بِهِ وَيُرَى بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ ٱلْأَحْقَافُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ « هَذَا قَبْرُ

هُودِ بْنِ عَامِرٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَفِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الصَّحْنِ بَابٌ يُفْضِي إِلَى الْمَسْجِدِ بَدِيعُ الْوَضْعِ يُسَمَّى مَشْهَدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَيُقَابِلُهُ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ حَيْثُ يَلْتَقِي الْبَلَاطَانِ الْغَرْبِيُّ وَالْجَوْفِيُّ مَوْضِعٌ يُقَالُ إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سَمِعَتِ الْحَدِيثَ هُنَاكَ وَفِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ الْمَقْصُورَةُ الْعُظْمَى الَّتِي يَؤُمُّ فِيهَا إِمَامُ الشَّافِعِيَّةِ وَفِي الرُّكْنِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا إِزَاءَ الْمِحْرَابِ خِزَانَةٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا الْمُصْحَفُ الْكَرِيمُ الَّذِي وَجَّهَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ وَتُفْتَحُ تِلْكَ الْخِزَانَةُ كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَيَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى لَثْمِ ذَلِكَ الْمُصْحَفِ الْكَرِيمِ وَهُنَاكَ يُحَلِّفُ النَّاسُ غُرَمَاءَهُمْ وَمَنِ ادَّعَوْا عَلَيْهِ شَيْئًا وَعَنْ يَسَارِ الْمَقْصُورَةِ مِحْرَابُ الصَّحَابَةِ وَيَذْكُرُ أَهْلُ التَّارِيخِ أَنَّهُ أَوَّلُ مِحْرَابٍ وُضِعَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَنْ يَمِينِ الْمَقْصُورَةِ مِحْرَابُ الْحَنَفِيَّةِ

وَيَلِيهِ مِحْرَابُ ٱلْحَنَابِلَةِ

وَلِهَذَا ٱلْمَسْجِدِ ثَلَاثُ صَوَامِعَ ٱثْنَتَانِ مِنْهَا مِنْ بِنَاءِ ٱلرُّومِ وَٱلثَّالِثَةُ مِنْ بِنَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَفِي شَرْقِ ٱلْمَسْجِدِ مَقْصُورَةٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا صِهْرِيجُ مَاءٍ وَفِي وَسَطِ ٱلْمَسْجِدِ قَبْرُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَعَلَيْهِ تَابُوتٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ أُسْطُوَانَتَيْنِ مَكْسُوٌّ بِثَوْبِ حَرِيرٍ أَسْوَدَ مُعْلَمٍ مَكْتُوبٍ فِيهِ بِالْأَبْيَضِ (يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ٱسْمُهُ يَحْيَى) وَفِي هَذَا ٱلْمَسْجِدِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ بَابٌ قِبْلِيٌّ يُعْرَفُ بِبَابِ ٱلزِّيَارَةِ وَبِأَعْلَاهُ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلرُّمْحِ ٱلَّذِي كَانَتْ فِيهِ رَايَةُ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ وَبَابٌ شَرْقِيٌّ وَهُوَ أَعْظَمُ أَبْوَابِ ٱلْمَسْجِدِ وَيُسَمَّى بَابَ جَيْرُونَ وَفِي جِهَةِ ٱلْيَسَارِ مِنْهُ مَشْهَدٌ عَظِيمٌ كَانَ فِيهِ رَأْسُ ٱلْحُسَيْنِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَٱلْبَابُ ٱلْغَرْبِيُّ يُعْرَفُ بِبَابِ ٱلْبَرِيدِ وَعَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَرْبَعَةِ دَارُ وُضُوءٍ يَكُونُ فِيهَا

نَحْوُ مِائَةِ بَيْتٍ تَجْرِى فِيهَا ٱلْمِيَاهُ ٱلْكَثِيرَةُ

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذَا ٱلْمَسْجِدِ أَنَّهُ لَايَخْلُو عَنْ قِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ وَٱلصَّلَاةِ إِلَّا قَلِيلاً مِنَ ٱلزَّمَانِ وَٱلنَّاسُ يَجْتَمِعُونَ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ إِثْرَ صَلَاةِ ٱلصُّبْحِ فَيَقْرَءُونَ شَيْئًا مِنَ ٱلْقُرْآنِ وَبَعْدَ صَلَاةِ ٱلْعَصْرِ لِقِرَاءَةِ ٱلْكَوْثَرِيَّةِ يَقْرَءُونَ فِيهَا مِنْ سُورَةِ ٱلْكَوْثَرِ إِلَى آخِرِ ٱلْقُرْآنِ وَلِلْمُجْتَمِعِينَ عَلَى هَذِهِ ٱلْقِرَاءَةِ مُرَتَّبَاتٌ تَجْرِى لَهُمْ وَهُمْ نَحْوُ سِتِّمِائَةِ إِنْسَانٍ وَفِى هَذَا ٱلْمَسْجِدِ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ ٱلْمُجَاوِرِينَ لَايَخْرُجُونَ مِنْهُ وَأَهْلُ ٱلْبَلَدِ يُعِينُونَهُمْ بِٱلْمَطَاعِمِ وَٱلْمَلَابِسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلُوهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ

(ابن بطوطة)

﴿ ١٩ — سَيِّدُنَا نُوحٌ ﴾

تَبْتَئِسُ ٱلتَّنُّورُ يَعْصِمُ غِيضَ ٱلْجُودِيُّ

« وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ

فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَاأَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ قِيلَ يَانُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

(القرآن الكريم)

﴿ ٢٠ — اَلْكَهْرُبَاءُ ﴾

اَلْغَزْكُ كِمْيَاوِيَّةٌ اجْتِيَازٌ اَلنَّائِبَةُ
غِيَارٌ بَرْزَخٌ اَلْجَارِفُ اَلْعَقَبَاتُ
اَلْمَطَاطُ

مِنْ جُمْلَةِ اَلْقُوَى اَلْعَظِيمَةِ اَلَّتِي اُسْتُخْدِمَهَا اَلْإِنْسَانُ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِ وَمَآرِبِهِ رُوحٌ مِنَ اَلْأَرْوَاحِ اَلْخَفِيَّةِ وَسِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اَلْبَارِئِ اَلْمُبْدِعِ لَاهِيَ بِالْجِسْمِ فَتُحَسَّ وَلَا بِالرِّيحِ فَتُشَمَّ بَلْ هِيَ كَالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي لَا يَظْهَرُ مِنْهَا إِلَّا أَثَرُهَا وَمَا تَأْتِيهِ مِنْ جَلَائِلِ اَلْأَعْمَالِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا فِي كُلِّ كَائِنٍ وَتَظْهَرُ فِيهِ بِالْاِحْتِكَاكِ وَاَلْغَزْكِ وَبِوَسَائِطَ أُخْرَى كِمْيَاوِيَّةٍ غَيْرِ آلِيَّةٍ وَتَسِيلُ وَتَجْرِي جَرْيًا سَرِيعًا فِي بَعْضِ اَلْأَجْسَامِ وَبَطِيئًا فِي غَيْرِهَا وَمِنَ اَلْأَجْسَامِ مَا يَصُدُّهَا وَيُوقِفُهَا فَلَا تَتَعَدَّاهُ

تِلْكَ اَلْقُوَّةُ هِيَ اَلْكَهْرُبَاءُ اَلَّتِي اُسْتُخْدِمَتْ فِي سَائِرِ

ٱلْأَعْمَالِ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا عَظِيمِهَا وَحَقِيرِهَا وَتَفَرَّدَتْ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ ٱلْقُوَى بِٱجْتِيَازِ ٱلْأَبْعَادِ ٱلنَّائِيَةِ وَشَقِّ غِمَارِ ٱلْبِحَارِ حَتَّى لَقَدْ أَصْبَحَ بِهَا ٱلْإِنْسَانُ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُحَادِثَ صَدِيقَهُ بِٱلتِّلِفُونِ وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ بَعِيدُ ٱلْمَدَى وَأَنْ يُكَاتِبَهُ بِٱلتِّلِغْرَافِ فِي لَمْحَةٍ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ ٱلْعَامَّةِ « غَمِّضْ عَيْنَكَ وَٱفْتَحْهَا تَرَ ٱلْأَمْرَ قَدْ وَقَعَ »

وَٱلْكَهْرُبَاءُ صِنْفَانِ لَا يَكَادُ يُؤَثِّرُ ٱلْوَاحِدُ مِنْهُمَا عَلَى ٱنْفِرَادِهِ وَمَتَى ٱجْتَمَعَا بِٱلْمُلَامَسَةِ لَمْ يَقْوَ شَيْءٌ عَلَى صَدِّ تَيَّارِهِمَا ٱلْجَارِفِ بَلِ ٱجْتَازَا كُلَّ مَا يَعْتَرِيهِمَا مِنَ ٱلْعَقَبَاتِ طَوْعَ أَمْرِ ٱلْمُدَبِّرِ لَهُمَا

وَلَمَّا أَدْرَكَ ٱلنَّاسُ مِنْ صِنْفَيِ ٱلْكَهْرُبَاءِ شِدَّةَ مَيْلِهِمَا إِلَى ٱلتَّوَاصُلِ وَٱلِٱجْتِمَاعِ صَنَعُوا ٱلْمُدَدَ وَٱلْآلَاتِ بِحَيْثُ يُجْمَعُ بَيْنَ ٱلصِّنْفَيْنِ مَتَى طُلِبَ ٱلْعَمَلُ وَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا مَتَى طُلِبَ ٱلْوُقُوفُ فَيَسِيرَانِ فِي سِلْكَيْنِ دَقِيقَيْنِ

مُجْتَمِعَيْنِ فِي ٱلنِّهَايَةِ مُفْتَرِقَيْنِ فِي ٱلْمَبْدَإِ ٱلَّذِي قَدْ رُكِّبَ عَلَيْهِ زِرٌّ إِذَا حَرَّكَ جَمَعَ بَيْنَ ٱلسِّلْكَيْنِ وَأَثَّرَتِ ٱلْكَهْرُبَاءُ تَأْثِيرَهَا ٱلْمَطْلُوبَ وَإِذَا أُعِيدَ فَرَقَ بَيْنَهُمَا فَٱنْقَطَعَ ٱلْعَمَلُ وَتُغَلَّفُ ٱلْأَسْلَاكُ وَٱلْعُدَدُ ٱلَّتِي تَمُرُّ فِيهَا ٱلْكَهْرُبَاءُ بِغِلَافٍ مِنَ ٱلْحَرِيرِ أَوِ ٱلْمَطَّاطِ لِكَيْلَا تُؤْذِيَ ٱلنَّاسَ إِذَا مَسُّوهَا

﴿ ٢١ — ٱلْمَدِينَةُ ٱلْمُنَوَّرَةُ ﴾

رُوَاءٌ ٱلْمَزَاغِلُ مُقَوَّضَةٌ ٱلْمُنَاخَةُ

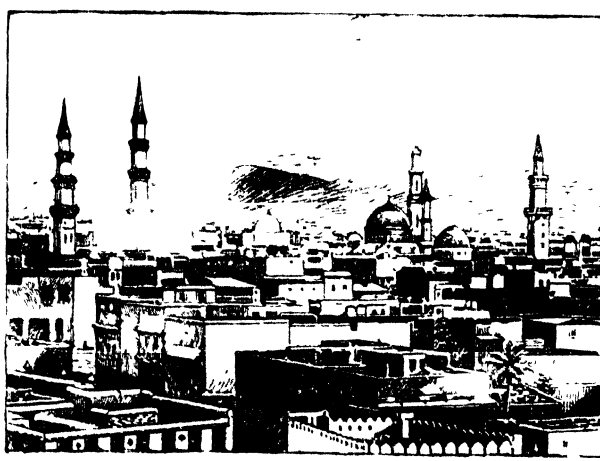

كَانَتِ ٱلْمَدِينَةُ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلْأَوَّلِ لِلْهِجْرَةِ فِي غَايَةِ الرُّقِيِّ بِسَاتِينُهَا تَمْلَأُ ٱلْفَضَاءَ ٱلْمُحِيطَ بِهَا وَكَانَ لِلْقَوْمِ بِهَا رِيَاضٌ زَاهِرَةٌ وَقُصُورٌ بَاهِرَةٌ فِي وَادِي ٱلْعَقِيقِ ٱلَّذِي كَانَ يَفُورُ مَاؤُهُ وَيَبْهَرُ رُوَاؤُهُ وَتَزْهُو أَرْجَاؤُهُ وَيَكْثُرُ زَهْرُهُ وَيَفُوحُ عِطْرُهُ وَيُجْنَى ثَمَرُهُ وَأَسْوَاقُهَا مَشْحُونَةٌ بِٱلْمَتَاجِرِ ٱلْوَارِدَةِ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْهِنْدِ وَٱلسِّنْدِ وَٱلشَّامِ وَبِلَادِ ٱلْعَجَمِ مِنْ ثِيَابِ ٱلْقُطْنِ وَٱلْحَرِيرِ وَٱلصُّوفِ وَٱلْبُسُطِ

وَتِجَارَةُ ٱلتَّمْرِ فِيهَا أَكْبَرُ ٱلتِّجَارَاتِ وَأَوْسَعُهَا لِأَنَّ أَرْبَاضَهَا فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَزَارِعِ وَٱلْبَسَاتِينِ وَنَخِيلُهَا تُنْتِجُ نَحْوَ سَبْعِينَ صِنْفًا مِنَ ٱلتَّمْرِ يَمْتَازُ بَيْنَهَا ٱلْعَنْبَرِيُّ بِشِدَّةِ حَلَاوَتِهِ وَكَانَتْ أَبْنِيَةُ ٱلْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ ٱلْقَرْنِ ٱلثَّامِنِ ٱلْهِجْرِيِّ مَحْصُورَةً فِي سُورٍ بَنَاهُ حَوْلَهَا ٱلْأَمِيرُ جَمَالُ ٱلدِّينِ وَزِيرُ صَاحِبِ ٱلْمَوْصِلِ فِي مُنْتَصَفِ ٱلْقَرْنِ ٱلسَّادِسِ وَهُوَ بَاقٍ إِلَى ٱلْآنَ وَعَلَى مُحِيطِهِ ٱلْمَزَاغِلُ وَٱلْأَبْرَاجُ ٱلْمَشْحُونَةُ

بِٱلْمَدَافِعِ وَٱلذَّخَائِرِ ٱلْحَرْبِيَّةِ لِصَدِّ هَجَمَاتِ ٱلْأَعْرَابِ ٱلَّذِينَ كَثِيراً مَا كَانُوا وَلَا يَزَالُونَ يَعْتَدُونَ عَلَى حَرَمِ رَسُولِ ٱللهِ وَخَارِجَ هَذَا ٱلسُّورِ سُورٌ آخَرُ دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا جُدُرٌ مُقَوَّضَةٌ مُهَدَّمَةٌ وَيَنْزِلُ رَكْبُ ٱلْمَحْمَلِ ٱلْمِصْرِيِّ بَيْنَ ٱلسُّورَيْنِ فِي فَضَاءٍ ٱسْمُهُ ٱلْمُنَاخَةُ

وَفِي ٱلْمَدِينَةِ وَأَرْبَاضِهَا أَمَاكِنُ أَثَرِيَّةٌ أَلْبَسَتْهَا ذِكْرَى مَجْدِهَا ٱلْغَابِرِ شَرَفاً وَجَلَالاً وَهَيْبَةً تَكَادُ تَتَنَزَّهُ عَنِ ٱلنَّظِيرِ وَأَشْهَرُهَا مَسْجِدُ قُبَا وَيَبْعُدُ عَنِ ٱلْمَدِينَةِ بِمَسَافَةِ خَمْسَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي ٱلْإِسْلَامِ بَنَاهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَا وَفَدَ إِلَيْهَا فِي هِجْرَتِهِ

وَأَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَشْرَبُونَ مِنَ ٱلْآبَارِ وَٱلْمَاءُ يَجْرِي إِلَيْهَا مِنَ ٱلْعَيْنِ ٱلزَّرْقَاءِ فِي أَنَابِيبَ تَتَفَرَّعُ وَتَتَشَعَّبُ فِي أَنْحَاءِ ٱلْبَلَدِ

وَمُنَاخُهَا مُعْتَدِلٌ وَهَوَاؤُهَا طَيِّبٌ وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي سَاعَدَتْ عَلَى رِقَّةِ أَهْلِهَا وَلَطَافَةِ أَمْزِجَتِهِمْ مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَالْأَدَبِ وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ حَتَّى قِيلَ إِنَّهُمْ أَحْسَنُ أَهْلِ بِلَادِ الْعَرَبِ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَلَا عَجَبَ فَمُجَاوَرَتُهُمْ لِلسَّيِّدِ الرَّسُولِ أَكْسَبَتْهُمْ كَثِيرًا مِنْ أَخْلَاقِهِ الْكَامِلَةِ عَلَى أَنَّ مَنْ يُفَكِّرْ فِي أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اخْتَصَّهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَى بَلَدِهِمْ يَحْكُمْ بِأَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ فِيهِمْ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ وَحَسْبُكَ أَنَّهُ أَعْلَنَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ أَنَّهُ لَا يَوَدُّ الْمَوْتَ إِلَّا بَيْنَ أَظْهُرِ الْأَنْصَارِ وَهَؤُلَاءِ أَعْقَابُهُمُ الْيَوْمَ عَلَى سُنَّتِهِمْ فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

(مقتبس من الرحلة الحجازية)

﴿ ٢٢ — اَلْحَمَاسَةُ ﴾

اَلْقِنَاعُ اَللِّفَاعُ اَلْمَصَانِعُ اَلذَّوَابِلُ
اَلْهَيْجَاءُ حُسَامٌ

إِذَا كَشَفَ اَلزَّمَانُ لَكَ اَلْقِنَاعَا
وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ اَلدَّهْرِ بَاعَا
فَلَا تَخْشَ اَلْمَنِيَّةَ وَاقْتَحِمْهَا
وَدَافِعْ مَا اَسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعَا
وَلَا تَخْتَرْ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ
وَلَا تَبْكِ اَلْمَنَازِلَ وَالْبِقَاعَا
وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ يَنْدُبْنَ حُزْنًا
وَيَهْتِكْنَ اَلْبَرَاقِعَ وَاللِّفَاعَا
يَقُولُ لَكَ اَلطَّبِيبُ دَوَاكَ عِنْدِى
إِذَا مَاجَسَّ كَفَّكَ وَالذِّرَاعَا

وَلَوْ عَرَفَ ٱلطَّبِيبُ دَوَاءَ دَاءٍ
يَرُدُّ ٱلْمَوْتَ مَاقَاسَى ٱلنِّزَاعَا

وَفِي يَوْمِ ٱلْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا
لَنَا بِفِعَالِنَا خَبَرًا مُشَاعَا

أَقَمْنَا بِٱلذَّوَابِلِ سُوقَ حَرْبٍ
وَصَيَّرْنَا ٱلنُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

حِصَانِي كَانَ دَلَّالَ ٱلْمَنَايَا
نَفَاضَ غِمَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا

وَسَيْفِي كَانَ فِي ٱلْهَيْجَا طَبِيبًا
يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو ٱلصُّدَاعَا

أَنَا ٱلْعَبْدُ ٱلَّذِي خُبِّرْتَ عَنْهُ
وَقَدْ عَايَنْتَنِي فَدَعِ ٱلسَّمَاعَا

وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُمْحِي مَعْ جَبَانٍ
لَكَانَ بِهِ يَلْقَى ٱلسِّبَاعَا

مَلَأْتُ ٱلْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
وَخَصْمِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا ٱتِّسَاعَا
إِذَا ٱلْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
تَرَى ٱلْأَقْطَارَ بَاعًا أَوْ ذِرَاعَا

(ديوان عنترة بن شداد)

﴿ ٢٣ — ٱلنَّشَا ﴾

بَنِيقَةٌ رُدْنٌ ٱلرَّيْطَةُ ٱلسَّخِيفَةُ
إِبْهَامٌ سَبَّابَةٌ جُمَّارٌ

هَلْ دَارَ بِخَلَدِكَ يَوْمًا أَنْ تَسْأَلَ عَنِ ٱسْمِ ٱلْمَادَّةِ ٱلَّتِي بِهَا تُكْوَى بَنِيقَةُ قَمِيصِكَ وَرُدْنَاهُ وَمِنْ أَيْنَ وَكَيْفَ تُسْتَخْرَجُ هَذِهِ ٱلْمَادَّةُ هِيَ ٱلنَّشَا وَتُسْتَخْرَجُ مِنْ أَصْنَافٍ عِدَّةٍ مِنَ ٱلنَّبَاتِ وَتُوجَدُ فِي جَمِيعِهَا لِأَنَّهَا هِيَ ٱلْمَادَّةُ ٱلَّتِي يَخْزُنُهَا ٱلنَّبَاتُ لِيَتَغَذَّى بِهَا

فَإِذَا أَخَذْتَ قَلِيلاً مِنْ دَقِيقِ ٱلْأَرُزِّ أَوِ ٱلْبُرِّ أَوِ ٱلشَّعِيرِ وَوَضَعْتَهُ فِي شِقَّةٍ مِنَ ٱلرَّيْطَةِ ٱلسَّخِيفَةِ وَفَرَكْتَهَا بَيْنَ إِبْهَامِكَ وَسَبَّابَتِكَ فِي مَاءٍ أَبْيَضَ ٱلْمَاءِ وَصَارَ لَوْنُهُ كَاللَّبَنِ وَٱلسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ ٱلنَّشَا يَنْفَصِلُ مِنَ ٱلدَّقِيقِ وَيَنْتَشِرُ فِي ٱلْمَاءِ فَإِذَا تُرِكَ ٱلْإِنَاءُ وَنَفْسَهُ زَمَنًا رَسَبَ

النشا فى قعره فإذا أخذت شيئاً قليلاً منه ونظرت إليه بمنظار التكبير وجدته مكوناً من ذرات صغيرة جداً لا ترى بالنظر المجرد ووجدت أن كل ذرة منه عبارة عن كيس صغير ينتفخ وينفجر إذا صب عليه الماء المغلى ولذلك يقال إن الماء المغلى يذيب النشا كما يذيب السكر وتراه صافياً من غير أن يكون للنشا أثر ظاهر وأما الماء البارد فلا يذيبه وإنما يفصل ذراته بعضها عن بعض ويبقى أبيض كاللبن وإذا سكن رأيت النشا فى قعر الإناء

ويستخرج النشا بكثرة من جمار ضرب من النخل ينبت فى البلاد الحارة وهذا النخل إذا تم نماؤه شق وأخذ منه الجمار فيسحق ويغسل بالماء ويعصر فيه فإذا سكن الماء رسب النشا فى قعر الإناء فيؤخذ ويجفف قليلاً ثم يمرر من مناخل ذات عيون مستديرة

فَيَصِيرُ كَمَا تَرَاهُ

وَيُسْتَخْرَجُ كَذَلِكَ مِنَ ٱلْبَطَاطِسِ وَمِنْ أَغْصَانِ بَعْضِ صُنُوفِ ٱلْخُلَّةِ وَجُذُورِهَا وَيُصْنَعُ بِهَا مَا يُصْنَعُ بِٱلْخِمَارِ وَيُجَفَّفُ بِنَشْرِهِ عَلَى صُحُونٍ مُخَمَّاةٍ وَبِتَحْرِيكِهِ بِمِحْرَاكٍ حَدِيدِيٍّ

﴿ ٢٤ — كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (١) ﴾

حُدُودٌ اَلْحَقْنُ سِرْبٌ رِيَاضَةٌ

حِيَاطَةٌ تَفْرِيطٌ آجِلٌ اَلنَّمِيمَةُ

اَلْجَرَاءَةُ شَرَهٌ

مُخْتَارٌ مِنْ وَصِيَّةِ طَاهِرِ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ لِٱبْنِهِ عَبْدِ ٱللهِ ٱبْنِ طَاهِرٍ لَمَّا وَلَّاهُ ٱلْمَأْمُونُ ٱلرَّقَّةَ وَمِصْرَ وَمَا بَيْنَهُمَا

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ ٱلرَّأْفَةَ عَلَيْكَ بِمَنِ ٱسْتَرْعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ وَأَلْزَمَكَ

الْعَدْلَ فِيهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ عَلَيْهِمْ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ وَالدَّفْعَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَمَنْصِبِهِمْ وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسِرْبِهِمْ وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْكَ بِالِاقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ نَفْعًا وَلَا أَخَصَّ أَمْنًا وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ وَلَا تَتَّهِمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُوَلِّيهِ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التُّهَمِ بِالْبُرَءَاءِ وَالظُّنُونَ السَّيِّئَةَ بِهِمْ إِثْمٌ فَاجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حُسْنَ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَاطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَارْفُضْهُ فِيهِمْ يُعِنْكَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِمْ وَرِيَاضَتِهِمْ وَلَا يَمْنَعْكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَالرَّأْفَةُ بِرَعِيَّتِكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْمَسْأَلَةَ وَالْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ وَحِيَاطَةَ الرَّعِيَّةِ وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ

وَأَقِمْ حُدُودَ اللهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى

قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا ٱسْتَحَقُّوهُ وَلَا تُعَطِّلْ ذَلِكَ وَلَا تَهَاوَنْ
بِهِ وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ ٱلْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي
ذَلِكَ مَايُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا
فَأَوْفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ ٱلْخَيْرَ فَأَنْجِزْهُ وَٱقْبَلِ ٱلْحَسَنَةَ
وَٱدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ
وَٱشْدُدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ ٱلْكَذِبِ وَٱلزُّورِ وَأَبْغِضْ
أَهْلَ ٱلنَّمِيمَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآجِلِهَا
تَقْرِيبُ ٱلْكَذُوبِ وَٱلْجَرَاءَةُ عَلَى ٱلْكَذِبِ لِأَنَّ
ٱلْكَذِبَ رَأْسُ ٱلْمَآثِمِ وَٱلزُّورَ وَٱلنَّمِيمَةَ خَاتِمَتُهَا
وَدَعْ عَنْكَ شَرَهَ نَفْسِكَ وَلْتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكُنُوزُكَ
ٱلَّتِي تَدَّخِرُ وَتَكْنِزُ ٱلْبِرَّ وَٱلتَّقْوَى وَٱسْتِصْلَاحَ ٱلرَّعِيَّةِ
وَعِمَارَةَ بِلَادِهِمْ وَٱلتَّفَقُّدَ لِأُمُورِهِمْ وَٱلْإِعَانَةَ لِمُلْهُوفِهِمْ

﴿ ٢٥ – كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (٢) ﴾

تُمَالِئُ فَاجِرٌ تُدَاهِنُ فَاسِقٌ
مُرَاءٍ مَرَحٌ كُورَةٌ أَمْضَى
تُزَكِّي

لَا تَحْتَقِرَنَّ ذَنْبًا وَلَا تُمَالِئَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا وَلَا تَصِلَنَّ كَفُورًا وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَّامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُوَالِيَنَّ فَاسِقًا وَلَا تَتْبَعَنَّ غَاوِيًا وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًا وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا وَلَا تُحَسِّنَنَّ بَاطِلًا وَلَا تُلَاحِظَنَّ مُضْحِكًا وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا وَلَا تُذْهِبَنَّ فَخْرًا وَلَا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا وَلَا تَمْشِيَنَّ مَرَحًا وَلَا تُزَكِّيَنَّ سَفِيهًا وَلَا تَرْفَعْ لِلنَّمَّامِ عَيْنًا وَلَا تُغْمِضْ عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ خَبَرَ عُمَّالِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيَرِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ

مُعَايِنًا لِأُمُورِهِ وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَانْظُرْ فِي
عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ
وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّفَاعِ وَالصُّنْعِ فَأَمْضِهِ
وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ ثُمَّ
خُذْ فِيهِ عُدَّتَكَ فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرِهِ وَقَدْ أَتَاهُ
عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَنَقَضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي
كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ بَعْدَ عَوْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ
وَأَكْثِرْ مِنَ اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي أُمُورِكَ وَافْرُغْ مِنْ
عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ وَأَكْثِرْ مُبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ
لِغَدٍ أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُلْهِيكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي أَخَّرْتَ
وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَمْضَيْتَ
لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ بَدَنَكَ وَنَفْسَكَ وَجَمَعْتَ أَمْرَ
سُلْطَانِكَ

﴿ ٢٦ — كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (٣) ﴾

بَلَا طَوِيَّةٌ مُظَاهَرَةٌ اَلْبَأْسَاءُ
أَرَامِلُ أَرْزَاقٌ سَرَفٌ مُؤَامَرَةٌ
تَمُنَّنَّ اَلْحَزْمُ

وَانْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي الْفَضْلِ مِنْهُمْ مِمَّنْ بَلَوْتَ صَفَاءَ طَوِيَّتِهِمْ وَشَهِدْتَ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِالنُّصْحِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى أَمْرِكَ فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ إِلَيْكَ وَالْمُحْتَقَرِ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ وَتَعَاهَدْ ذَوِي الْبَأْسَاءِ وَيَتَامَاهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَانْصِبْ لِلْمَرْضَى دُورًا تُؤْوِيهِمْ وَقُوَّامًا يَرْفُقُونَ بِهِمْ وَأَطِبَّاءَ يُعَالِجُونَ أَسْقَامَهُمْ وَأَسْعِفْهُمْ بِشَهَوَاتِهِمْ مَالَمْ يُؤَدِّ ذَلِكَ إِلَى سَرَفٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ

وَاعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عُمَّالُكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقْ إِسْرَافًا وَلْيَكُنْ أَكْرَمَ دُخَلَائِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا لَمْ تَمْنَعْهُ هَيْبَتُكَ مِنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِتْرٍ وَإِعْلَامِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ النَّقْصِ فَإِنَّ أُولَئِكَ أَنْصَحُ أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرِيكَ لَكَ وَانْظُرْ عُمَّالَكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكُتَّابَكَ فَوَقِّتْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ بِكُتُبِهِ وَمُؤَامَرَتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عُمَّالِكَ وَأُمُورِ الدَّوْلَةِ وَرَعِيَّتِكَ ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورَدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدَبُّرَ لَهُ فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْضِهِ وَاسْتَخِرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِذَلِكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى الْمَسْأَلَةِ وَالتَّثَبُّتِ وَلَا تَمُنَّنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفٍ تُؤْتِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

ٱلْوَفَاءَ وَٱلاَسْتِقَامَةَ فِي أُمُورِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلاَ تَصْنَعَنَّ ٱلْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ

﴿ ٢٧ — ٱلْوِشَايَةُ ﴾

ٱلْوِشَايَةُ أَتْرَاحٌ يَتَنَاجَشُ يَتَدَابَرُ
يَهْجُو أَطْرَقَ هُنَيْهَةٌ أَقْصَى يَنْسَلُّ

كَانَ يُوسُفُ وَسَيْفُ ٱلدِّينِ رَفِيقَيْنِ قَلَّ أَنْ يَفْتَرِقَا إِلاَّ فِي وَقْتِ ٱلنَّوْمِ فَكَانَا يَتَعَاوَنَانِ فِي ٱلْمُدَارَسَةِ وَيَتَرَافَقَانِ فِي ٱلنُّزْهَةِ وَيَتَشَارَكَانِ فِي أَفْرَاحِهِمَا وَأَتْرَاحِهِمَا وَبِٱلْجُمْلَةِ كَانَا كَٱلأَخَوَيْنِ لاَ يَتَحَاسَدَانِ وَلاَ يَتَنَاجَشَانِ وَلاَ يَتَبَاغَضَانِ وَلاَ يَتَدَابَرَانِ وَكَانَ يَمِيلُ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى ٱلآخَرِ وَيَنْجَذِبُ إِلَيْهِ لِتَوَافُقٍ فِي مِزَاجَيْهِمَا فَسَاءَ ذَلِكَ تِلْمِيذًا حَسُودًا كَانَ يَحْزَنُ لِرُؤْيَةِ ٱلنِّعْمَةِ عَلَى غَيْرِهِ وَيَفْرَحُ لِمَا يَقَعُ بِهِ مِنَ ٱلْمَصَائِبِ وَفَكَّرَ أَنْ يَشِيَ لِأَحَدِهِمَا إِرَادَةً بِٱلآخَرِ فَٱخْتَارَ يُوسُفَ وَٱنْفَرَدَ بِهِ مَرَّةً وَذَكَرَ

لَهُ مِنْ سَيِّئَاتِ سَيْفِ الدِّينِ مَالَا عَهْدَ لَهُ بِهِ مِنْ قَبْلُ
وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ يَهْجُوهُ لَهُ فَغَضِبَ يُوسُفُ وَحَدَّثَتْهُ
نَفْسُهُ أَنْ يَقْطَعَ أَخَاهُ وَلَكِنْ مَالَبِثَ أَنْ هَدَأَ وَالْتَفَتَ
إِلَى ذَلِكَ الْوَاشِي وَقَالَ « اسْمَعْ يَا إِبْرَاهِيمُ وَشَى وَاشٍ بِعَبْدِ
اللهِ بْنِ هَمَّامٍ إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّهُ هَجَاكَ فَقَالَ أَأَجْمَعُ
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَالَ نَعَمْ فَبَعَثَ زِيَادٌ إِلَى ابْنِ هَمَّامٍ فَأُتِيَ
بِهِ وَأُدْخِلَ الرَّجُلُ بَيْتًا فَقَالَ زِيَادٌ يَا ابْنَ هَمَّامٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ
هَجَوْتَنِي فَقَالَ كَلَّا أَصْلَحَكَ اللهُ مَافَعَلْتُ وَلَا أَنْتَ لِذَلِكَ
بِأَهْلٍ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَخْبَرَنِي وَأَخْرَجَ الرَّجُلَ
فَأَطْرَقَ ابْنُ هَمَّامٍ هُنَيْهَةً ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ

أَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا ائْتَمَنْتُكَ خَالِيًا
فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمِ
فَأُبْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ

فَأُعْجِبَ زِيَادٌ بِجَوَابِهِ وَأَقْصَى الْوَاشِيَ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ فَمَا

رَأْيُكَ فِي أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَيْفِ الدِّينِ » فَاعْتَذَرَ لَهُ وَمَا كَادَ يَنْتَهِي مِنَ الِاعْتِذَارِ حَتَّى قَدَمَ سَيْفُ الدِّينِ فَأَخَذَ الْوَاشِي يَنْسَلُّ فَمَنَعَهُ يُوسُفُ عَنِ الْخُرُوجِ وَقَصَّ عَلَى سَيْفِ الدِّينِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فَخَجِلَ الْوَاشِي وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَسَكَتَ فَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ « قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا) » وَبَعْدَ ذَلِكَ شَكَرَ سَيْفُ الدِّينِ يُوسُفَ عَلَى سُلُوكِهِ الَّذِي كَانَ سَبَبًا فِي قَطْعِ الْوِشَايَةِ بَيْنَهُمَا

﴿ ٢٨ — التِّلِغْرَافُ ﴾

مِضْمَارٌ تَلَمَّسَ تُمَهِّدُ مَقْبِضٌ
الْفُولَاذُ لَوْلَبٌ يَقْرَعُ

إِنَّ رُقِيَّ الْحَضَارَةِ وَتَقَدُّمَ الصِّنَاعَةِ وَالْأَعْمَالِ وَالتَّزَاحُمَ عَلَى مَرَافِقِ الْمَعِيشَةِ بَعَثَتْ فِي نُفُوسِ النَّاسِ شَغَفًا بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ حَتَّى يَبْلُغَ السَّابِقُ

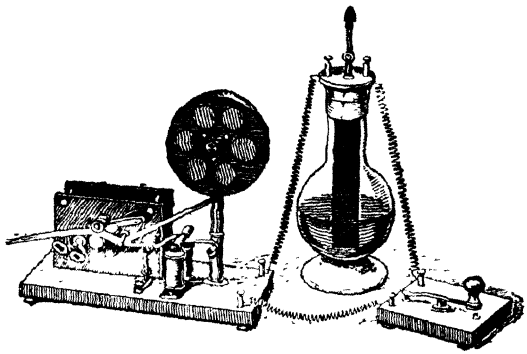

غَايَتَهُ فِي مِضْمَارِ الْحَيَاةِ فَتَلَمَّسُوا كُلَّ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُمَهِّدُ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ هَذَا وَقَامَ الْعُلَمَاءُ وَالْكَشَّافُونَ وَالْمُخْتَرِعُونَ يُجَرِّبُونَ وَيَبْحَثُونَ وَيُؤَلِّفُونَ حَتَّى اهْتَدَى مُورِسُ سَنَةَ ١٨٣٦ إِلَى اخْتِرَاعِ آلَةِ التِّلِغْرَافِ وَاسْتِخْدَامِهَا فِي الرَّسَائِلِ

وَصَلَ هَذَا الْمُخْتَرِعُ بَيْنَ مَكَانَيْنِ بِسِلْكَيْنِ يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صِنْفًا مِنْ صِنْفَيِ الْكَهْرُبَاءِ وَجَعَلَ فِي أَحَدِ الْمَكَانَيْنِ آلَةً شَبَكَ بِهَا السِّلْكَيْنِ وَهُمَا مُفْتَرِقَانِ وَاتَّخَذَ لَهَا مِقْبِضًا كُلَّمَا انْخَفَضَ نَزَلَ عَلَى

ٱلْقَاعِدَةِ فَاجْتَمَعَ ٱلسِّلْكَانِ وَجَرَى تَيَّارُ ٱلْكَهْرُبَاء ثُمَّ جَعَلَ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلثَّانِي آلَةً أُخْرَى لَهَا لَفِيفَتَانِ مِنَ ٱلْأَسْلَاكِ قَدْ مُدَّتْ عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْهَا حَدِيدَةٌ مُعَلَّقٌ فَوْقَهَا مِسْمَارٌ مُتَّصِلٌ بِلَوْلَبٍ يَشُدُّهُ إِلَى أَعْلَى وَمَتَى ٱتَّصَلَ ٱلسِّلْكَانِ بِخَفْضِ مَقْبِضِ ٱلْآلَةِ ٱلْأُولَى جَذَبَتِ ٱلْحَدِيدَةُ ذَلِكَ ٱلْمِسْمَارَ فَوْقَهَا فَيَقْرَعُهَا وَيُلَاصِقُهَا إِلَى أَنْ يَفْتَرِقَ ٱلسِّلْكَانِ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ ٱلْحَرَكَةُ لَا تُؤَدِّي إِلَى كِتَابَةِ ٱلْحُرُوفِ أَوِ ٱلْأَرْقَامِ ٱتُّخِذَتْ إِشَارَاتٌ تَدُلُّ عَلَى ٱلْكِتَابَةِ مِنْ نُقَطٍ وَخُطُوطٍ صَغِيرَةٍ تَخْتَلِفُ فِي عَدَدِهَا وَتَرْتِيبِهَا بِاخْتِلَافِ ٱلْحُرُوفِ وَٱلْأَرْقَامِ فَإِذَا أُرِيدَ كِتَابَةُ نُقْطَةٍ أُنْزِلَ ٱلْمَقْبِضُ مَرَّةً ثُمَّ سُيِّبَ عَلَى ٱلْفَوْرِ وَمَتَى أُرِيدَ كِتَابَةُ خَطٍّ أُنْزِلَ ٱلْمَقْبِضُ كَذَلِكَ وَلَكِنَّهُ لَا يُسَيَّبُ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ تَكْفِي لِقَرْعِ ثَلَاثِ نُقَطٍ وَجَعَلُوا بَيْنَ ٱلْحَدِيدَةِ وَٱلْمِسْمَارِ شَرِيطًا مُتَحَرِّكًا مِنَ ٱلْوَرَقِ تُعْلَمُ

فيهِ هٰذِهِ ٱلرُّمُوزُ وَقَدْ جَعَلُوا فِي كُلِّ مَكْتَبٍ مِنْ مَكَاتِبِ ٱلتِّلِغْرَافِ كِلْتَا ٱلْآلَتَيْنِ لِإِرْسَالِ ٱلرَّسَائِلِ وَتَسَلُّمِهَا وَجَرَى بَعْدَ ذٰلِكَ تَحْسِينٌ وَتَعْدِيلٌ فِي أَزْمَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ حَتَّى ٱسْتَطَاعَ ٱلنَّاسُ أَنْ يَكْتُبُوا رَسَائِلَهُمُ ٱلتِّلِغْرَافِيَّةَ بِٱلْخَطِّ وَٱسْتَغْنَوْا عَنِ ٱلْإِشَارَاتِ وَلٰكِنَّ هٰذَا ٱلنَّوْعَ لَمْ يَشِعْ بَعْدُ فِي ٱلدُّنْيَا

﴿ ٢٩ — زُهْدُ ٱلْهُنُودِ (١) ﴾

ٱلْبَرَاهِمَةُ ٱلْفُحْشُ تَأَفُّفٌ حَمْلَةٌ

نَزِيهٌ وَسْوَسَ ٱلِٱنْتِحَارُ مَضَضٌ

طَلِيعَةٌ وَجَلٌ تَلَثُّمٌ

فِي ٱلْهِنْدِ فِئَةٌ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ كُهَّانُ ٱلْهُنُودِ يَقْضُونَ حَيَاتَهُمْ عُرَاةَ ٱلْأَجْسَامِ وَلَا يَأْكُلُونَ ٱللَّحْمَ بَلْ يَقْتَاتُونَ مِنَ ٱلْأَلْبَانِ وَمَا صَلَحَ مِنْ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ وَثِمَارِ ٱلْأَشْجَارِ وَقَدْ عُرِفُوا بِٱلزُّهْدِ فَلَا يَأْتُونَ ٱلْفُحْشَ وَلَا يَرْكَبُونَ ٱلْمُنْكَرَ وَيُكْثِرُونَ ٱلصَّوْمَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ أَيَّامًا طِوَالًا

وَهُمْ ذَوُو صَبْرٍ وَجَلَدٍ شَهِدَ لَهُمْ بِهَا شِيشِرُونُ ٱلرُّومَانِيُّ خِلَالَ كَلَامِهِ عَنِ ٱلْآلَامِ ٱلْهَائِلَةِ ٱلَّتِي يُقَاسِيهَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ بِثَبَاتٍ عَجِيبٍ قَالَ « إِنَّ فِي ٱلْهِنْدِ حُكَمَاءَ يَقْضُونَ أَزْمَانَهُمْ عُرَاةً وَيَحْتَمِلُونَ بَرْدَ ٱلثَّلْجِ وَظُلْمَةَ ٱلضَّبَابِ مِنْ غَيْرِ تَأَفُّفٍ وَلَا ضَجَرٍ وَإِذَا رَأَوُا ٱلنَّارَ ٱسْتَسْلَمُوا لَهَا فَتَحْتَرِقُ أَجْسَامُهُمْ وَهُمْ صَامِتُونَ »

وَقَدْ حَكَى رُوَاةُ حَمْلَةِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ ٱلْمَقْدُونِيِّ أَنَّهُ

يَوْمَ بَلَغَ تَكْسِيلاَ مِنْ بِلاَدِ الْهِنْدِ رَأَى جَمَاعَةً مِنْ هَؤُلاَءِ الْحُكَمَاءِ الْعُرَاةِ عَلَى مَاوَصَفْنَاهُمْ مِنَ الْآدَابِ وَالْفَضَائِلِ فَأُعْجِبَ بِهِمْ كَثِيراً وَصَحِبَهُ مِنْهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كَالَانِيسُ أَحَبَّهُ الْإِسْكَنْدَرُ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَكَانَ الرَّجُلُ شُجَاعاً فَاضِلاً وَشَيْخاً نَزِيهاً بَلَغَ السَّبْعِينَ مِنْ سِنِيهِ إِلَّا أَنَّ الشَّيْخُوخَةَ وَمَا تَجْلِبُ مِنَ التَّعَبِ وَسْوَسَتْ لَهُ التَّخَلُّصَ مِنْ عَنَاءِ الْكِبَرِ فَعَزَمَ عَلَى إِحْرَاقِ جِسْمِهِ وَالْاِسْتِرَاحَةِ مِنْ مَضَضِ الْحَيَاةِ وَعَيَّنَ يَوْمَ الْاِنْتِحَارِ

وَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ اجْتَمَعَ الْجُنْدُ وَالْقُوَّادُ وَجَمْعٌ غَفِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَفِي طَلِيعَتِهِمُ الْإِسْكَنْدَرُ فِي سَهْلٍ فَسِيحٍ حَيْثُ أَتَى ذَلِكَ الشَّيْخُ وَاقْتَرَبَ مِنْ مَوْضِعِ النَّارِ بِجَأْشٍ رَابِطٍ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَجِلٍ وَأَلْقَى نَفْسَهُ وَسْطَ اللَّهِيبِ وَأَخَذَتِ النَّارُ تَلْتَهِمُ لَحْمَهُ وَهُوَ صَامِتٌ

لَا يَئِنُّ وَلَا يَشْكُو

وَذُكِرَتْ حَادِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نَوْعِهَا وَهِيَ أَنَّ هِنْدِيًّا مِنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ لَحِقَ بِالْإِسْكَنْدَرِ حَتَّى آثِينَا وَعَمِلَ هُنَاكَ مَا عَمِلَهُ كَالَانِيسُ فِي الْهِنْدِ وَأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي احْتَرَقَ فِيهِ سُمِّيَ مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالْقَبْرِ الْهِنْدِيِّ

(المقتطف)

﴿ ٣٠ — زُهدُ الهُنُودِ (٢) ﴾

اَلغُلُوُّ اِستِئصَالٌ جَابَ اَلنِّحَلُ
تَدَنَّسَ تَذكِيَةٌ إِكلِيلٌ اَلصُّنُوجُ
أُجِجَ

لَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَزْعُمُونَ مِنْ قَبْلُ أَنَّ مَادُوَّنَهُ رُوَاةُ حَمَلَةِ الإِسْكَنْدَرِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ وَمَا يَعْمَلُونَ لَايَخْلُو مِنَ الْغُلُوِّ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْأَقَاصِيصِ الْمَوْضُوعَةِ لِمَا فِي تِلْكَ الْحَوَادِثِ مِنَ الْغَرَابَةِ وَالشُّذُوذِ عَنِ الْمَعْرُوفِ الْمُشَاهَدِ مِنْ عَادَاتِ الْأُمَمِ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى دَخَلَ الْفَرَنْجُ بِلَادَ الْهِنْدِ وَافْتَتَحَهَا الْإِنْكِلِيزُ فَأَمَّهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ وَأَهْلُ التِّجَارَةِ وَدُعَاةُ الدِّينِ مِنَ الْأَوْرُبِّيِّينَ وَأَخَذُوا فِي دِرَاسَةِ أَهْلِهَا وَعَادَاتِهِمْ

فَرَأَوْا أَنَّ مَا كَتَبَهُ الْمُؤَرِّخُونَ الْأَقْدَمُونَ لَاغُبَارَ عَلَيْهِ وَأَنَّ الْهُنُودَ مَابَرِحُوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَادَاتِ

وَٱلْأَخْلَاقِ وَأَنَّ ٱلتَّمَدُّنَ ٱلْأُورُبِّيَّ لَمْ يَقْوَ حَتَّى ٱلْيَوْمِ عَلَى ٱسْتِئْصَالِ تِلْكَ ٱلْعَادَاتِ وَخَبَرُ هَؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ ٱلْيُونَانِ مِنْ حَمْلَةِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ قِيلَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَهْدِ فِيثَاغُورِسَ يَوْمَ جَابَ ٱلْأَقْطَارَ ٱلشَّرْقِيَّةَ وَبَلَغَ ٱلْهِنْدَ وَأَخَذَ عَنْ حُكَمَائِهَا ٱلْعِلْمَ وَٱلْفَلْسَفَةَ عَلَى قَوْلٍ وَلَمْ يَكُنْ خَبَرُ هَؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءِ مَعْرُوفًا لَدَى عُلَمَاءِ ٱلْيُونَانِ وَٱلرُّومَانِ فَقَطْ فَقَدِ ٱتَّصَلَ نَبَؤُهُمْ بِعُلَمَاءِ ٱلْعَرَبِ فَدَوَّنُوهُ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ وَحَسْبُكَ مَا كَتَبَهُ ٱلشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي كِتَابِ ٱلْمِلَلِ وَٱلنِّحَلِ قَالَ « وَمِنْ حُكَمَاءِ ٱلْهِنْدِ مَنْ إِذَا رَأَى عُمْرَهُ قَدْ تَدَنَّسَ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي ٱلنَّارِ تَذْكِيَةً لِنَفْسِهِ وَتَطْهِيرًا لِبَدَنِهِ وَتَخْلِيصًا لِرُوحِهِ » وَقَالَ أَبُو ٱلْفِدَاءِ « إِنَّ ٱلْهُنُودَ يُحْرِقُونَ أَنْفُسَهُمْ وَإِذَا أَرَادَ ٱلرَّجُلُ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى إِلَى بَابِ ٱلْمَلِكِ وَٱسْتَأْذَنَهُ فِي إِحْرَاقِ نَفْسِهِ فَإِذَا أَذِنَ لَهُ أَلْبَسَ ذَلِكَ ٱلرَّجُلُ أَنْوَاعَ ٱلْحَرِيرِ ٱلْمَنْقُوشِ وَجُعِلَ

عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ مِنَ الرَّيْحَانِ وَخَرَجَتِ الطُّبُولُ وَالصُّنُوجُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ أُجِّجَتْ لَهُ النِّيرَانُ وَيَدُورُ كَذَلِكَ فِي الْأَسْوَاقِ وَحَوْلَهُ أَهْلُهُ وَأَقَارِبُهُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ النَّارِ أَخَذَ خِنْجَرًا بِيَدِهِ وَشَقَّ بِهِ جَوْفَهُ ثُمَّ يَهْوِي بِنَفْسِهِ فِي النَّارِ

﴿ ٣١ — مَا جَزَاءُ الْوَالِدِ مِنْ وَلَدِهِ ﴾

عَالَ يَافِعٌ تُنْهَلُ أَتَمْلَمُلُ

فَظَاظَةٌ تَلَابِيبُ

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ « يَارَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي » فَقَالَ لَهُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « اذْهَبْ فَأْتِنِي بِأَبِيكَ » فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ النَّبِيُّ « مَا بَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ أَتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ » فَقَالَ لَهُ « سَلْهُ يَارَسُولَ اللهِ هَلْ أُنْفِقُهُ إِلَّا عَلَى إِحْدَى عَمَّاتِهِ أَوْ خَالَاتِهِ أَوْ عَلَى نَفْسِي » فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى

ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « دَعْنَا مِنْ هٰذَا أَخْبِرْنِى عَنْ شَىْءٍ قُلْتَهُ فِى نَفْسِكَ مَاسَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ » فَقَالَ ٱلشَّيْخُ « وَ ٱللهِ يَارَسُولَ ٱللهِ مَا يَزَالُ ٱللهُ يَزِيدُنَا بِكَ يَقِيناً لَقَدْ قُلْتُ فِى نَفْسِى شَيْئاً مَاسَمِعَتْهُ أُذُنَاىَ » فَقَالَ « قُلْ فَأَنَا أَسْمَعُ » فَقَالَ :

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُلْتُكَ يَافِعاً
تُعَلُّ بِمَا أَحْنُو عَلَيْكَ وَتُنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ ضَاقَتْ بِكَ ٱلسُّقْمُ لَمْ أَبِتْ
لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ
كَأَنِّى أَنَا ٱلْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِٱلَّذِى
طُرِقْتَ بِهِ دُونِى فَعَيْنَاىَ تَهْمُلُ
تَخَافُ ٱلرَّدَى نَفْسِى عَلَيْكَ وَإِنَّنِى
لَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ وَٱلْغَايَةَ ٱلَّتِى
إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيهِ أُؤَمِّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً
كَأَنَّكَ أَنْتَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمُتَفَضِّلُ

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي
فَعَلْتَ كَمَا ٱلْجَارُ ٱلْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

فَحِينَئِذٍ أَخَذَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَلَابِيبِ ٱلْوَلَدِ وَسَلَّمَهُ لِوَالِدِهِ قَائِلاً لَهُ «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»

﴿ ٣٢ — زَيْتُ ٱلْبِتْرُولِ ﴾

يَتَفَجَّرُ تَقْطِيرٌ أَوْفَدَ ٱلتَّنْقِيبُ
مِجَسٌّ ٱلْجِصُّ غَدْرٌ ٱلْخَزَفُ

مِنْ أَنْفَعِ ٱلزُّيُوتِ ٱلْمُسْتَعْمَلَةِ بِٱلْمَنَازِلِ وَٱلَّتِي لَاغْنَاءَ لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْأَهْلِينَ عَنْهَا زَيْتُ ٱلْبِتْرُولِ أَوْ زَيْتُ ٱلْحَجَرِ وَهُوَ ٱلَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ مُعْظَمُ ٱلْأَهَالِي فِي ٱلْإِسْتِنَارَةِ وَيُعْرَفُ بِٱلْجَازِ وَهُوَ سَائِلٌ يُوجَدُ فِي بَاطِنِ ٱلْأَرْضِ بِطَبِيعَتِهِ لَهُ رَائِحَةٌ شَدِيدَةٌ مُمَيِّزَةٌ

**** ****

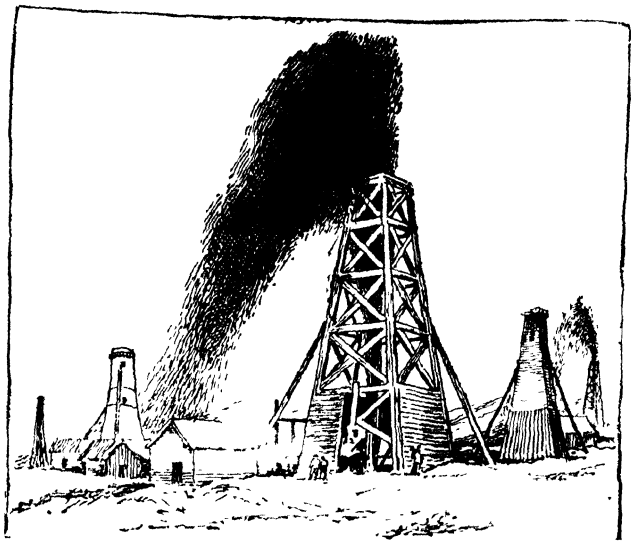

وَيُستَخرَجُ إمَّا بِالْمَصَّاتِ وَإمَّا بِتَشَقُّقِ الْأَرْضِ فَيَتَفَجَّرُ مِنْهَا وَيَختَلِفُ تَرْكِيبُهُ بِاخْتِلَافِ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ الَّتِي يُستَخرَجُ مِنْهَا فَهُوَ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ غَيْرُهُ فِي بِلَادِ الْمُسْكُوفِ وَفِي رُومَانِيَا وَفِي الْهِنْدِ الشَّرْقِيَّةِ وَعَلَى شَوَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ تَحْلِيلِ مَوَادَّ نَبَاتِيَّةٍ وَحَيَوَانِيَّةٍ تَحْلِيلاً بَطِيئًا فِي الْأَرْضِ وَقِيلَ إنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ تَقْطِيرِ الْفَحْمِ الْحَجَرِيِّ

هُنَالِكَ

وَزَيْتُ ٱلْبِتْرُولِ مَعْرُوفٌ مِنْ قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ وَلَكِنْ لَمْ يَنْتَشِرِ ٱسْتِعْمَالُهُ إِلَّا فِي مُنْتَصَفِ ٱلْقَرْنِ ٱلتَّاسِعِ عَشَرَ بَعْدَ ٱلْوُقُوفِ عَلَى ٱلْأَمَاكِنِ ٱلَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مَقَادِيرَ عَظِيمَةٍ مِنْهُ

وَلَمَّا شَاعَ أَنَّ ٱلْبِتْرُولَ يُوجَدُ فِي جِهَةٍ تَبْعُدُ عَنِ ٱلسُّوَيْسِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثِمِائَةِ كِيلُو مِتْرٍ وَتُسَمَّى جَبَلَ ٱلزَّيْتِ أَوْفَدَتِ ٱلْحُكُومَةُ ٱلْمِصْرِيَّةُ سَنَةَ ١٨٨٤ مُهَنْدِسًا بِلْجِيقِيًّا عَالِمًا بِطَبَقَاتِ ٱلْأَرْضِ لِلتَّنْقِيبِ عَنْهُ فِي تِلْكَ ٱلْجِهَةِ فَبَاشَرَ ٱلْعَمَلَ مُدَّةً وَفِي سَنَةِ ١٨٨٦ خَرَجَ ٱلْبِتْرُولُ فِي مَجَسٍّ أُنْزِلَ فِي ٱلْأَرْضِ عَلَى غَوْرِ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ مِتْرًا مُتَخَلِّلًا طَبَقَاتٍ مِنَ ٱلْجِصِّ وَٱلْكِبْرِيتِ وَٱلْخَزَفِ وَخَرَجَ عَلَى هَيْئَةِ فَوَّارَةٍ مُرْتَفِعًا مِتْرَيْنِ عَنْ سَطْحِ ٱلْبَحْرِ وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ يُمْكِنُ تَحْصِيلُ نَحْوِ أَلْفَيْ لِتْرٍ مِنْهُ فِي ٱلْيَوْمِ مِنْ عَيْنٍ

وَاحِدَةٍ

وَيُوجَدُ بِمِصْرَ ٱلْآنَ سِتُّ شَرِكَاتٍ إِنْكِلِيزِيَّةٍ تَقُومُ بِٱلْبَحْثِ عَنِ ٱلْبِتْرُولِ حَوْلَ ٱلسُّوَيْسِ وَشَوَاطِئِ ٱلْبَحْرِ ٱلْأَحْمَرِ وَقِيلَ إِنَّهَا عَثَرَتْ عَلَى عِشْرِينَ بِئْرًا إِلَى ٱلْآنَ وَبَعْضُهَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ نَحْوُ أَلْفِ طَنٍّ فِي ٱلْيَوْمِ

﴿ ٣٣ — بَغْدَادُ (١) ﴾

إِخْتَطَّ	اَلشَّاهِقَةُ	اَلنَّضِرَةُ	اَلشَّاسِعَةُ
قَصَبَةٌ	رِحَالٌ	اَلدَّعَائِمُ	تُسَوِّلُ
اَلِاضْمِحْلَالُ	اَلْغَازُونَ	بَادِيَاتٌ	تَقَوَّضَتْ

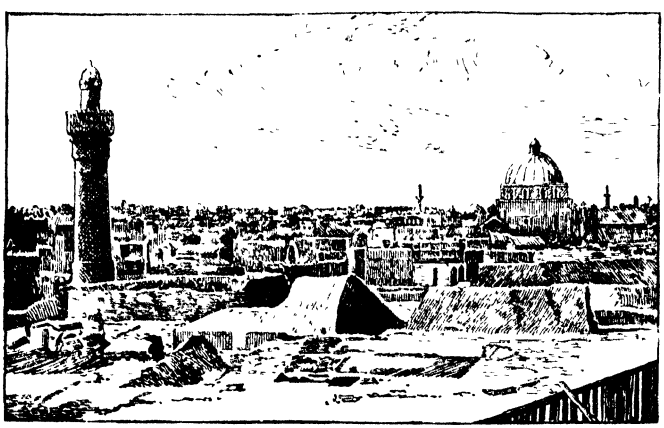

لَمَّا اسْتَقَرَّتِ الْخِلَافَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي يَدِ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ فِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ الْهِجْرِيِّ الثَّانِي اخْتَطَّ عَلَى ضَفَّتَيْ نَهْرِ دِجْلَةَ مَدِينَةً عَظِيمَةً سَمَّاهَا بَغْدَادَ أَوْ دَارَ السَّلَامِ شَيَّدَ فِيهَا الْقُصُورَ الشَّاهِقَةَ وَالْحَدَائِقَ الْغَنَّاءَ وَالْبَسَاتِينَ النَّضِرَةَ وَعَمَّرَ الْمَسَاجِدَ الشَّاسِعَةَ الْوَاسِعَةَ حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنَ الْغَلَبَةِ وَالنَّصْرِ وَقَدْ سُمِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ نِصْفُهَا الشَّرْقِيُّ الرَّصَافَةَ وَالْغَرْبِيُّ الْكَرْخَ

أَخَذَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ بِتَوَالِي خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ عَلَيْهَا وَصَارَتْ قَصَبَةَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ حَتَّى جَاءَ هَارُونُ الرَّشِيدُ فَأَعْلَى مَكَانَتَهَا وَجَعَلَهَا مَحَطَّ رِحَالِ الْعُلَمَاءِ وَالتُّجَّارِ وَالْقَاصِدِينَ وَأَقَامَ لِلتَّعْلِيمِ مَدَارِسَ يَؤُمُّهَا آلَافُ الطُّلَّابِ لِيَشْرَبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَنْهَلِ الْعَذْبِ وَبَنَى فِيهَا مَلَاجِئَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُعْوِزِينَ يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا بِنَعِيمٍ مُقِيمٍ بِمَا حَبَسَ عَلَيْهَا وَعَلَى الْمَدَارِسِ

مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ وَٱلْأَمْوَالِ لِتَكُونَ ثَابِتَةَ ٱلدَّعَائِمِ لَا يُزَعْزِعُهَا ظُلْمُ ٱلْمُلُوكِ أَوِ ٱسْتِبْدَادُ ٱلْأُمَرَاءِ بِمَا تُسَوِّلُهُ لَهُمُ ٱلْأَهْوَاءُ

وَمَا زَالَتْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ يَنْتَشِرُ ٱلْعِزُّ بَيْنَ رُبُوعِهَا وَيَنْفَجِرُ نُورُ ٱلْعِلْمِ مِنْ عُقُولِهَا وَٱلْمَتَاجِرُ غَادِيَةٌ رَائِحَةٌ بَعْدَ ٱلرَّشِيدِ فِي أَيَّامِ ٱبْنِهِ ٱلْمَأْمُونِ وَمَنْ أَعْقَبَهُ مِنَ ٱلْخُلَفَاءِ حَتَّى أَذَّنَ مُؤَذِّنُ ٱلْفَنَاءِ عَلَيْهَا بِٱلِٱضْمِحْلَالِ وَٱلِٱنْحِطَاطِ فَتَقَلَّبَتْ عَلَيْهَا صُرُوفُ ٱلزَّمَانِ وَٱنْتَهَبَهَا ٱلْغَازُونَ وَٱلْفَاتِحُونَ وَتَشَتَّتَ أَهْلُهَا فِي مَشَارِقِ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا حَاضِرَاتِهَا وَبَادِيَاتِهَا وَتَقَوَّضَتْ عِمَارَتُهَا وَكَادَتْ مَعَالِمُهَا تَزُولُ حَتَّى ٱسْتَوْلَى عَلَيْهَا ٱلتُّرْكُ بِبَأْسِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ وَهِيَ إِلَى ٱلْآنَ فِي أَيْدِيهِمْ

٣٤ — بَغْدَادُ (٢)

ٱلْبَائِدَةُ ٱلنَّزْرُ ٱلدَّارِسُ خَنْدَقٌ

جُلٌّ ٱلْقَوَاعِدُ ٱلْمُفْتَرَضُ

لَمَّا اسْتَوْلَى التُّرْكُ عَلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ أَخَذَتِ الْحَيَاةُ تَدِبُّ فِيهَا وَالنَّاسُ يَتَوَافَدُونَ عَلَيْهَا عَسَى أَنْ تَعُودَ إِلَيْهَا مَكَانَتُهَا الْبَائِدَةُ فِي التِّجَارَةِ لِأَنَّ مَوْقِعَهَا عَلَى نَهْرِ دِجْلَةَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْخَلِيجِ الْفَارِسِيِّ يَجْعَلُهَا مَرْكَزًا لِتَبَادُلِ خَيْرَاتِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَقَدْ بَقِيَ الْيَسِيرُ مِنْ آثَارِ مَجْدِهَا الدَّارِسِ كَقَبْرَيِ الْإِمَامَيْنِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ وَأَبِي مُوسَى الْكَاظِمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَجُزْءٍ مِنَ السُّورِ الشَّرْقِيِّ الَّذِي كَانَ طُولُهُ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ الْأَمْتَارِ وَارْتِفَاعُهُ نَحْوَ الثَّلَاثِينَ بَنَاهُ الْخَلِيفَةُ أَحْمَدُ النَّاصِرُ وَجَعَلَ عَلَيْهِ أَبْرَاجًا عِدَّةً وَحَاطَهُ بِخَنْدَقٍ وَاسِعٍ لِصَدِّ الْعَدُوِّ عَنْهَا وَقَدْ هَدَمَ جُلَّ هَذَا السُّورِ مِدْحَتْ بَاشَا أَحَدُ وُلَاةِ التُّرْكِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا جُزْءٌ صَغِيرٌ جَعَلُوهُ مَخْزَنًا لِلْبَارُودِ وَعَلَيْهِ كِتَابَةٌ بَاقِيَةٌ هَذَا نَصُّهَا

« بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ هٰذَا مَا أَمَرَ بِعَمَلِهِ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا ٱلْإِمَامُ ٱلْمُفْتَرَضُ ٱلطَّاعَةِ عَلَى كَافَّةِ ٱلْأَنَامِ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ ٱلنَّاصِرُ لِدِينِ ٱللهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ وَحُجَّةُ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ٱلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ صَلَوَاتُ ٱللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ ٱلطَّاهِرِينَ وَلَا زَالَتْ دَعْوَتُهُ ٱلْهَادِيَةُ عَلَى بِقَاعِ ٱلْخَلْقِ مَنَارًا وَٱلْخَلَائِقُ لَهَا أَتْبَاعًا وَأَنْصَارًا وَطَاعَتُهُ ٱلْمُفْتَرَضَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَافَقَ ٱلْفَرَاغُ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ٱلنَّبِيِّ وَآلِهِ ٱلطَّيِّبِينَ ٱلطَّاهِرِينَ »

﴿ ٣٥ — ٱلْفَضِيلَةُ ﴾

ٱلْأَوَّابُ مَغْلُولَةٌ إِمْلَاقٌ ٱلْقِسْطَاسُ

« وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا
تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا
صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَى حَقَّهُ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا
تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ
قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ
إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَا إِنَّهُ كَانَ
فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ

إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا

(القرآن الكريم)

﴿ ٣٦ — الْعَرَبُ وَالطَّيَرَانُ ﴾

اِسْتِشْهَادٌ اِسْتِنْبَاطٌ تَفَوُّقٌ جُنْمَانٌ

زِمِكٌّ الْعَنْقَاءُ قَشْعَمٌ يَطُمُّ

نَقَلَتْ إِحْدَى الْجَرَائِدِ الْفِرِنْجِيَّةِ الَّتِي تُطْبَعُ وَتُنْشَرُ

فِي ٱلْقَاهِرَةِ عَنْ كِتَابٍ عَرَبِيٍّ ٱسْمُهُ « نَفْحُ ٱلطِّيبِ مِنْ غُصْنِ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلرَّطِيبِ » لِمُؤَلِّفِهِ ٱلشَّيْخِ ٱلْمَقْرِيِّ ٱلتِّلِمْسَانِيِّ ٱلْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَلْفٍ وَوَاحِدَةٍ وَأَرْبَعِينَ هِجْرِيَّةً أَعْنِي فِي ٱلْقَرْنِ ٱلسَّابِعِ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ أَنَّ أَوَّلَ مُخْتَرِعٍ لِآلَاتِ ٱلطَّيَرَانِ هُوَ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ يُدْعَى أَبَا ٱلْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ ٱلَّذِي كَانَ طَبِيبًا لِلْخَلِيفَةِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلثَّانِي مَلِكِ ٱلْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ثَمَانِمِائَةٍ وَوَاحِدَةٍ وَعِشْرِينَ وَقَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ ٱلْكِتَابِ عِنْدَ ٱسْتِشْهَادِ ٱلْمُؤَلِّفِ عَلَى سَبْقِ ٱلْأَنْدَلُسِيِّينَ فِي ٱسْتِنْبَاطِ ٱلْعُلُومِ وَٱلْفُنُونِ وَتَفَوُّقِ أَذْهَانِهِمْ مَا يَأْتِي « وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ أَنَّ أَبَا ٱلْقَاسِمِ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ ٱلْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنِ ٱسْتَنْبَطَ بِٱلْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ ٱلزُّجَاجِ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا كِتَابَ ٱلْعَرُوضِ لِلْخَلِيلِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ ٱلْمُوسِيقَا وَوَضَعَ ٱلْآلَةَ ٱلْمَعْرُوفَةَ بِٱلْمِثْقَالِ لِيُعْرَفَ ٱلْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ وَٱحْتَالَ

فِي تَطْيِيرِ جُثْمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ مَسَافَةً بَعِيدَةً وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الِاحْتِيَالَ فِي وُقُوعِهِ فَتَأَذَّى مُؤَخَّرُهُ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِّهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنَبًا » وَفِيهِ قَالَ مُؤْمِنُ ابْنُ سَعِيدٍ الشَّاعِرُ أَبْيَاتًا مِنْهَا

يَطُمُّ عَلَى الْعَنْقَاءِ فِي طَيَرَانِهَا

إِذَا مَا كَسَا جُثْمَانَهُ رِيحَ قَشْعَمِ

وَقِيلَ إِنَّ أَبَا فِرْنَاسٍ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْرِضَ اخْتِرَاعَهُ عَلَى أَهَالِي قُرْطُبَةَ اجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِمُشَاهَدَتِهِ وَكَانَ نَجَاحُهُ قَلِيلاً لِأَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الِانْتِقَالِ بِطَيَّارَتِهِ فِي الْجَوِّ بَلْ كُلُّ مَا أَمْكَنَ أَنَّهُ بَقِيَ مُرْتَفِعًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَسَقَطَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ أَصْوَاتِ الْهُتَافِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالضَّحِكِ

﴿ ٣٧ — اَلطَّيَرَانُ ﴾

إِطَارٌ تَمْتَطِي مَتْنٌ اَلْكَاعِدُ اَلزَّعْزَعَةُ

اَلْعِنَانُ صَهْوَةٌ اَلذَّرَائِعُ غِشَاءٌ

اَلدُّوَّامَةُ اَلسُّكَّانُ تَذْلِيلٌ يَتَسَنَّمُ

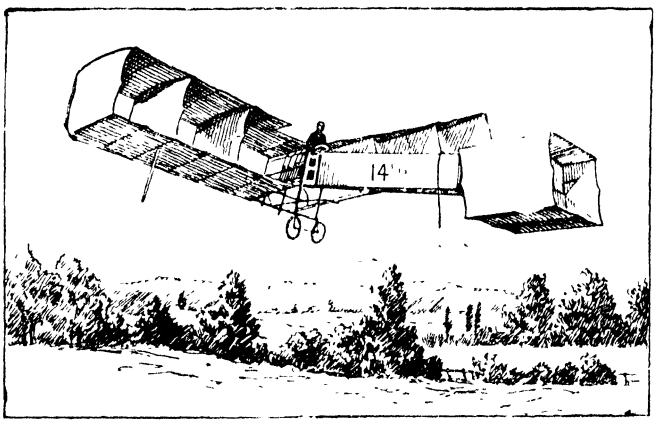

كُلُّ طِفْلٍ يَتَذَكَّرُ اَلطَّيَّارَةَ اَلصَّغِيرَةَ اَلَّتِي طَالَمَا طَيَّرَهَا فِي اَلْفَضَاءِ وَجَرَى بِهَا اِتِّقَاءَ سُقُوطِهَا إِذَا مَارَآهَا تَتَاقَلُ لِيَخْلُقَ لَهَا بِجَرْيِهِ خِفَّةً وَقُوَّةً تَمْتَطِي بِهِمَا مَتْنَ اَلْهَوَاءِ اَلَّذِي يَدْفَعُهَا بِشِدَّةِ مُقَاوَمَتِهِ إِلَى اَلسَّمَاءِ

هَذِهِ ٱلطَّيَّارَةُ ٱلصَّغِيرَةُ تَتَرَكَّبُ مِنْ إِطَارٍ مِنَ ٱلْقَصَبِ أَوِ ٱلْخَشَبِ ٱلرَّفِيعِ عَلَيْهِ كِسَاءٌ مِنَ ٱلْكَاغَدِ أَوِ ٱلْحَرِيرِ ٱلسَّخِيفِ وَطَرَفَاهُ مُتَّصِلَانِ بِخَيْطٍ يَزِيدُ طُولُهُ كَثِيراً عَلَى طُولِ ٱلطَّيَّارَةِ نَفْسِهَا وَعَلَى جَانِبَيْهَا جَنَاحَانِ مِنْ شَرَائِطَ مِنَ ٱلْوَرَقِ يَمْنَعَانِ تَذَبْذُبَهَا وَٱضْطِرَابَهَا ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَفِي طَرَفِهَا ٱلسُّفْلِيِّ ذَيْلٌ مِثْلُ ٱلْجَنَاحَيْنِ يَقِيهَا ٱلزَّعْزَعَةَ وَٱلْانْقِلَابَ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُطَيِّرَ طَيَّارَتَهُ رَبَطَ ٱلْخَيْطَ ٱلْوَاصِلَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا بِسِلْكٍ طَوِيلٍ مَلْفُوفٍ عَلَى مِسْلَكَةٍ ثُمَّ أَرْخَى لَهَا ٱلْعِنَانَ وَاجْتَذَبَهَا نَحْوَهُ بِسُرْعَةٍ فَيَلْطِمُهَا ٱلْهَوَاءُ وَهِيَ مَائِلَةٌ عَلَيْهِ فَتَصْعَدُ فِيهِ وَتَمْتَطِي صَهْوَتَهُ وَكُلَّمَا أَطْلَقَ لَهَا ٱلْعِنَانَ ٱبْتَعَدَتْ وَٱرْتَقَتْ إِلَى عَنَانِ ٱلسَّمَاءِ

بِهَذِهِ ٱلذَّرَائِعِ نَفْسِهَا تَذَرَّعَ ٱلْعُلَمَاءُ فِي ٱخْتِرَاعِ مَرَاكِبِ ٱلْهَوَاءِ فَجَعَلُوا لِلْمَرْكَبِ سَطْحاً أَوْ سَطْحَيْنِ

مِنْ غِشَاءٍ مَتِينٍ مَشْدُودٍ عَلَى إِطَارٍ مُعْتَرِضٍ مِنْ مَعْدِنٍ صُلْبٍ خَفِيفٍ هُوَ ٱلْآلُومِنْيُمُ وَرَكَّبُوا فِي وَسَطِهِ آلَةً خَفِيفَةَ ٱلْحَمْلِ شَدِيدَةَ ٱلْقُوَّةِ تُدَوِّرُ دُوَّامَةً مَتِينَةً فِي أَحَدِ طَرَفَيِ ٱلْمَرْكَبِ وَذَيَّلُوهُ بِسَطْحٍ يُؤَثِّرُ فِيهِ تَأْثِيرَ ٱلسُّكَّانِ فِي ٱلسَّفِينَةِ لِكَيْمَا يَتَّجِهَ وَيَسِيرَ وَفْقَ رَغْبَةِ رَاكِبِهِ

وَلَقَدْ ذَاعَ فِي مَشَارِقِ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا خَبَرُ تَذْلِيلِ ٱلْهَوَاءِ وَجَوْبِهِ بِتِلْكَ ٱلْآلَاتِ ٱلطَّائِرَةِ فَٱهْتَزَّ ٱلْكَوْنُ طَرَبًا وَتَسَابَقَ ٱلنَّاسُ إِلَى مَيَادِينِ ٱلطَّيَرَانِ لِيُشَاهِدُوا ٱلْإِنْسَانَ ٱلْمَخْلُوقَ مِنَ ٱلطِّينِ يَتَسَنَّمُ ٱلْجَوَّ وَيَرْقَى فِيهِ كَأَنَّهُ رُوحٌ مِنَ ٱلْأَرْوَاحِ ٱللَّطِيفَةِ كَمَا شَاهَدَ أَهْلُ مِصْرَ مِنْ بَدِيعِ آيَاتِ ٱلطَّيَرَانِ فِي مَيْدَانِ مِصْرَ ٱلْجَدِيدَةِ مَا ٱسْتَوْقَفَ ٱلْأَنْفَاسَ فِي ٱلصُّدُورِ وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تُرَى فِيهِ مَرَاكِبُ ٱلْهَوَاءِ مُتَدَاوَلَةً مُنْتَشِرَةً كَٱنْتِشَارِ مَرَاكِبِ ٱلْأَرْضِ فَيَصْدُقُ مَثَلُ ٱلْعَوَامِّ «ٱبْنُ آدَمَ طَيِّرٌ وَلَيْسَ

بِطَيْرٍ »

﴿ ٣٨ — أَعْرَابُ ٱلْبَادِيَةِ (١) ﴾

يَهِيمُ　　مَطَايَا　　ٱلسُّهُولُ　　لَظًى

ٱلْعَيْبُ　　تَوَغَّلَ　　ٱلْخَضِرُ　　فِطْرَةٌ

خُشُونَةٌ　　ٱلْأَفْلَاكُ　　عِقَالٌ

إِنَّ أَعْرَابَ ٱلْبَادِيَةِ قَوْمٌ رَحَّالَةٌ يَسْكُنُونَ بُيُوتًا مِنَ ٱلشَّعْرِ وَلَا يَبْنُونَ بَيْتًا ثَابِتًا لِأَنَّهُمْ يَهِيمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ حَيْثُ طَابَ لَهُمُ ٱلْعَيْشُ ذَاهِبِينَ بِبُيُوتِهِمْ عَلَى ظُهُورِ مَطَايَاهُمْ يَنْصِبُونَهَا حَيْثُ يَبْغُونَ ٱلْإِقَامَةَ وَهُمْ يُعَوِّلُونَ فِي مَعِيشَتِهِمْ عَلَى مَاشِيَتِهِمُ ٱلَّتِي يَغْذُونَهَا بِمَا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنْ كَلَإِ ٱلطَّبِيعَةِ وَيَغْتَذُونَ بِلُحُومِهَا وَأَلْبَانِهَا وَيَتَّخِذُونَ مَازَادَ مِنْهَا وَمِنْ صُوفِهَا وَشَعْرِهَا وَوَبَرِهَا لِسَدِّ مَا بَقِيَ مِنْ حَوَائِجِهِمْ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْكَنٍ وَٱكْتِسَابِ دِرْهَمٍ يَسْتَعِينُونَ بِهِ لَدَى ٱلْحَاجَةِ

وَأَكْثَرُ مَا يَسْكُنُونَ ٱلسُّهُولَ يُرَاقِبُونَ فِيهَا سَيْرَ ٱلْفُصُولِ فَإِذَا ٱشْتَدَّ بِهِمْ لَظَى ٱلْحَرِّ طَلَبُوا ٱلْأَنْهُرَ وَمَجَارِيَ ٱلْمَاءِ وَٱلْأَرَاضِيَ ٱلنَّضِرَةَ

وَإِذَا نَزَلَ ٱلْغَيْثُ وَٱرْتَوَتِ ٱلْأَرْضُ وَأَنْبَتَتْ رَبِيعَهَا تَوَغَّلُوا فِي ٱلْقِفَارِ مُسْتَصْحِبِينَ مَاشِيَتَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَهُمْ

عَلَى كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ لَا يَنْقَطِعُونَ عَنْ مُخَالَطَةِ الْحَضَرِ لِبَيْعِ مَا لَدَيْهِمْ وَشِرَاءِ مَا يَشْتَهُونَ مِنْ طَعَامٍ وَلِبَاسٍ

وَالْبَدْوُ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى مَا وَرِثُوهُ مِنَ الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ إِذْ مَا فَتِئُوا عَلَى فِطْرَتِهِمْ مُتَّصِفِينَ بِمَا اتَّصَفُوا بِهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ وَمَعَ أَنَّ الْبَدَوِيَّ مَوْصُوفٌ بِخُشُونَةِ الطِّبَاعِ وَالْعِنَادِ وَالْغِلْظَةِ فَهُوَ جَامِعٌ لِرِقَّةِ الْإِحْسَاسِ وَدِقَّةِ الْإِدْرَاكِ وَلَا يَزَالُ بَيْنَ الْبَدْوِ حَتَّى الْآنَ بَقِيَّةٌ يَدِينُونَ بِدِينِ أَسْلَافِهِمْ وَيَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ وَالْأَشْجَارَ وَالْأَفْلَاكَ

وَمَلَابِسُ الْبَدْوِ قَمِيصٌ طَوِيلٌ مَشْدُودٌ بِحَبْلٍ عَلَى الْوَسَطِ وَعَلَى الرَّأْسِ الْمَنَادِيلُ الْكُوفِيَّةُ يُثَبِّتُونَهَا بِعِقَالٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ الْعَبَاءَةَ فَوْقَ الْقَمِيصِ

﴿ ٣٩ – أَعْرَابُ ٱلْبَادِيَةِ (٢) ﴾

نَخْوَةٌ	أَنَفَةٌ	اَلْحَمِيَّةٌ	شُبُوبٌ
يُغِيرُ	قَوَافِلُ	اَلرُّمْحُ	مَعْقُودَةٌ
اَلْعُرَفَاءُ	اَلْفَيْصَلُ	اَلْفَارُوقُ	

أَمَّا ٱلْبَدَوِيَّاتُ فَهُنَّ فِي ٱلْبَادِيَةِ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنَ

ٱلرِّجَالِ وَبِٱلطَّبْعِ أَلْيَنُ جَانِباً وَأَرَقُّ طِبَاعاً وَلَسْنَ مَعَ ذَلِكَ دُونَ ٱلرِّجَالِ نَخْوَةً وَشَهَامَةً وَأَخْلَاقُهُنَّ بِٱلْجُمْلَةِ حَمِيدَةٌ وَخَيْرُ مَا يُزَيِّنُهُنَّ عِزَّةُ ٱلنَّفْسِ وَأَنَفَةُ ٱلْحَمِيَّةِ وَقِيَامُهُنَّ مَقَامَ ٱلرِّجَالِ فِي أَكْثَرِ ٱلْأَعْمَالِ

وَٱلثَّأْرُ عِنْدَ ٱلْبَدْوِ مَشْهُورٌ مِنْ قَبْلِ ٱلْإِسْلَامِ وَلَا يَزَالُ بَاقِياً حَتَّى ٱلْآنَ وَكَثِيراً مَا يَكُونُ ٱلسَّبَبَ فِي شُبُوبِ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْحَرْبِ بَيْنَ قَبِيلَةٍ وَأُخْرَى إِلَّا أَنَّهُ يُعَوَّضُ عَنِ ٱلدَّمِ بِٱلدِّيَةِ فِي بَعْضِ ٱلْأَحْيَانِ

وَمِنَ ٱلْبَدْوِ عَدَدٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ يَتَعَاطَوْنَ ٱلسَّلْبَ وَٱلنَّهْبَ وَيُغِيرُونَ عَلَى قَوَافِلِ ٱلْحُجَّاجِ يَسْلُبُونَهَا أَوْ يُلْزِمُونَ ٱلرَّكْبَ بِدَفْعِ فِدْيَةٍ يَفْتَدُونَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَفِي غَزَوَاتِهِمْ يَسْتَعْمِلُونَ ٱلسَّيْفَ وَٱلرُّمْحَ وَأَكْثَرُ اعْتِمَادِهِمْ عَلَى ٱلرِّمَاحِ وَقَدْ شَاعَ ٱسْتِعْمَالُ ٱلْبُنْدُقِيَّاتِ عِنْدَهُمْ فِي هٰذِهِ ٱلْأَزْمَانِ

أَمَّا ٱلْأَحْكَامُ فِي ٱلْبَادِيَةِ فَمَوْكُولَةٌ إِلَى ٱلشُّيُوخِ وَٱلْأُمَرَاءِ وَهِيَ تُمَثِّلُ مَبَادِئَ ٱلْحُكْمِ ٱلْفِطْرِيِّ فَٱلْقُوَّةُ لِمَنْ غَلَبَ وَتَتْبَعُهَا ٱلثَّرْوَةُ فَلَيْسَ لَهُمْ قَوَانِينُ مَكْتُوبَةٌ وَمَجَالِسُ مَعْقُودَةٌ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُومُ ٱلْعُرْفُ أَحْيَانًا مَقَامَ ٱلْقَانُونِ ٱلنَّافِذِ فَيَرْجِعُونَ بِٱلتَّقَاضِي إِلَيْهِ وَإِنِ ٱخْتَلَفُوا فِي أَمْرٍ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ رَفَعُوهُ إِلَى ٱلْعُرَفَاءِ وَٱلْعَرِيفُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ ٱلْقَاضِي يَحْكُمُ بِمَا عَرَفَهُ بِٱلِٱخْتِبَارِ مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ ٱلْعَرَبُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَهُوَ يَقُومُ مَقَامَ ٱلْفَيْصَلِ أَوِ ٱلْفَارُوقِ فِي ٱلْعَهْدِ ٱلْقَدِيمِ وَلَهُ بَيْنَهُمْ مَنْزِلَةٌ كُبْرَى أَمَّا ٱللُّغَةُ فَقَدْ تَطَرَّقَ إِلَيْهَا ٱلْفَسَادُ وَٱسْتَوْلَى عَلَيْهَا ٱلِٱنْحِطَاطُ وَلَوْ أَنَّ ٱلْكَلَامَ فِي ٱلْعَامِّيَّةِ ٱلْبَدْوِ أَصَحُّ مِنْهُ فِي سَائِرِ ٱلْبِلَادِ ٱلَّتِي غَلَبَتْ فِيهَا ٱللُّغَةُ ٱلْعَرَبِيَّةُ فَٱللَّفْظُ أَضْبَطُ وَٱلْكَلَامُ نَقِيٌّ مِنْ خَلِيطِ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْأَعْجَمِيَّةِ

﴿ ٤٠ — نُكْرَانُ الْجَمِيلِ ﴾

اَلتَّجْدِيفُ أَشْرَفَ تَدَارَكَ غَشْيَةٌ
تَبَجُّحٌ يُصِمُّ اَلْيَمُّ جُحُودٌ
زَوْرَقٌ

كَانَ أَمِيرٌ هِنْدِيٌّ مُغْرَمًا بِالتَّجْدِيفِ وَاتَّفَقَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ أَوْقَعَهُ سُوءُ حَظِّهِ فِي النَّهْرِ فَأَشْرَفَ عَلَى الْغَرَقِ لَوْلَا أَنَّ عَبْدًا تَدَارَكَهُ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْبَحْرِ وَرَاءَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَحَمَلَهُ إِلَى الشَّاطِئِ وَهُوَ فِي غَشْيَةٍ مِنَ الرُّعْبِ وَمِنَ الْمَاءِ الَّذِي ابْتَلَعَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ أَرْسَلَ فِي إِحْضَارِ مَنْ نَجَّاهُ فَإِذَا هُوَ عَبْدٌ فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ « كَيْفَ تَجْرُأُ أَنْ تَمَسَّ سَيِّدَكَ الطَّاهِرَ الْمُقَدَّسَ بِتِلْكَ الْيَدِ النَّجِسَةِ الذَّلِيلَةِ » فَقَالَ الْعَبْدُ « إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ يَامَوْلَايَ لِأُنْقِذَكَ مِنَ الْغَرَقِ » فَقَالَ الْأَمِيرُ « لَقَدْ لَوَّثْتَ بَدَنِي أَيُّهَا الْعَبْدُ الْوَضِيعُ وَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي إِلَّا الْإِعْدَامُ جَزَاءً

تَبَجُّحِكَ » وَبَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ خَرَجَ ٱلْأَمِيرُ يُجَدِّفُ كَعَادَتِهِ وَحَاوَلَ ٱلِانْتِقَالَ مِنْ زَوْرَقٍ إِلَى آخَرَ فَهَوَى بَيْنَ ٱلزَّوْرَقَيْنِ وَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ لِإِنْقَاذِهِ فَصَاحَ وَٱسْتَغَاثَ وَلَا مُجِيبَ وَلَا مُغِيثَ وَلَكِنَّ صَوْتًا رَنَّ فِي أُذُنَيْهِ حَتَّى كَادَ يُصِمُّهُمَا وَهُوَ يَقُولُ « هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بَعْدَ عَمَلٍ مِنْكَ قَدْ فَاتَ فَذُقْ كَأْسَ ٱلْمَمَاتِ » فَقَذَفَهُ ٱلْيَمُّ وَٱبْتَلَعَهُ ٱلْبَحْرُ وَمَاتَ غَرِيقًا يَلْقَى عَذَابَهُ مِنْ خَالِقِ تِلْكَ ٱلنَّفْسِ ٱلْبَرِيئَةِ ٱلَّتِي قَتَلَهَا بِجُحُودِهِ وَكُفْرَانِهِ

﴿ ٤١ — تَنَازُعُ ٱلْبَقَاءِ ﴾

خَافِقَةٌ تَلْعَةٌ كِنٌّ مَرْبِضٌ
مَذْوِدٌ سُوقَةٌ نَجْعَةٌ ٱلرُّوَّادُ
أَوْمَضَ دَحَرَ جَنْدَلَ

إِذَا نَظَرَ ٱلْعَاقِلُ فِيمَا حَوْلَهُ نَظَرَ ٱلْحَكِيمِ رَأَى أَعْلَامَ ٱلْحَرْبِ خَافِقَةً فَوْقَ كُلِّ نَبْتَتَيْنِ فِي تَلْعَةٍ وَفَوْقَ كُلِّ

طَائِرَيْنِ فِي كِنٍّ وَكُلِّ شَاتَيْنِ عَلَى مَرْبِضٍ وَكُلِّ جَوَادَيْنِ عَلَى مَذْوٍدٍ وَبَيْنَ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ فِي الْهَيْئَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ عُلَمَاءَ وَجُهَلَاءَ سُوقَةً وَأَغْنِيَاءَ مُلُوكًا وَعَبِيدًا أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ مُتَمَدْيِنِينَ وَمُتَوَحِّشِينَ رِجَالًا وَنِسَاءً كِبَارًا وَصِغَارًا بَلْ بَيْنَ الْأَدْيَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْآرَاءِ الْفَلْسَفِيَّةِ وَالْمَذَاهِبِ الْعِلْمِيَّةِ وَبَيْنَ اللُّغَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ بَلْ بَيْنَ الْعَوَاطِفِ وَالْمَدَارِكِ فَالْوُجُودُ كُلُّهُ حَرْبٌ فِي حَرْبٍ فِي حَرْبٍ

وَإِذَا أَعَدْنَا النَّظَرَ فِي تَارِيخِ الدُّوَلِ رَأَيْنَا حَلَقَاتِ التَّنَازُعِ مُتَوَالِيَةً وَالدُّوَلَ فِي صُعُودٍ وَهُبُوطٍ

فَفِي فَجْرِ التَّارِيخِ كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْمِصْرِيَّةُ قَابِضَةً عَلَى زِمَامِ الْأَحْكَامِ فِي الْعَالَمِ الْمُتَمَدْيِنِ وَكَانَتْ مَدَائِنُهَا وَأَسْوَاقُهَا وَمَدَارِسُهَا كَعْبَةَ الْقَصَّادِ وَنُجْعَةَ الرُّوَّادِ وَظَلَّتْ رَبَّةَ الْمَمَالِكِ وَالْأَمْصَارِ حَتَّى بَرَزَتْ إِلَى عَالَمِ

ٱلْوُجُود ٱلدَّوْلَةُ ٱلْأَشُورِيَّةُ ٱلَّتِي نَشَأَتْ فِي نِينَوَى وَٱمْتَدَّتْ شَرْقًا وَغَرْبًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا حَتَّى ٱحْتَكَّتْ بِالدَّوْلَةِ ٱلْمِصْرِيَّةِ فَأَوْمَضَ بَيْنَهُمَا شَرَرُ ٱلْحَرْبِ وَٱسْتَعَرَتْ نِيرَانُ ٱلْمَعَارِكِ حَتَّى ٱنْجَلَتْ عَنْ فَوْزِ ٱلْأَشُورِيِّينَ فَأَجْلَوْهُمْ عَنْ رُبُوعِ آسِيَا وَحَلُّوا مَحَلَّهُمْ إِلَى نُهُوضِ ٱلْمَادِيِّينَ بِقِيَادَةِ كِيكْسَارِسَ فَدَحَرَ ٱلْأَشُورِيِّينَ وَحَلَّ مَحَلَّهُمْ وَخَلَفَهُ فِي سِيَادَةِ ٱلْمَشْرِقِ خُلَفَاؤُهُ إِلَى ظُهُورِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ ٱلْكَبِيرِ ٱلَّذِي ٱنْدَفَعَ مِنْ وَرَاءِ ٱلدَّرْدَنِيلِ ٱنْدِفَاعَ ٱلسَّيْلِ إِلَى ٱلْفَرِيسَةِ وَهَبَطَ عَلَى أَقَالِيمِ آسِيَا وَإِفْرِيقِيَّةَ هُبُوطَ ٱلْكَوَاسِرِ عَلَى صِغَارِ ٱلطُّيُورِ فَجَنْدَلَ أَبْطَالَهَا وَدَوَّخَ أَمْصَارَهَا وَتَسَنَّمَ عُرُوشَهَا وَأَجْهَزَ عَلَى مَمَالِكِ مِصْرَ وَفَارِسَ وَصُورَ وَغَيْرِهَا وَبَسَطَ ظِلَّهُ عَلَى ٱلْأَقَالِيمِ ٱلْمُمْتَدَّةِ مِنَ ٱلْكَنْجِ إِلَى ٱلنِّيلِ وَمِنْ نَجْدٍ إِلَى ٱلدَّانُوبِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ ٱنْقَسَمَتْ مَمْلَكَتُهُ ٱلْوَاسِعَةُ ٱلنِّطَاقِ إِلَى أَرْبَعِ دُوَيْلَاتٍ مِنْهَا سُورِيَّةُ وَمِصْرُ وَسَادَ

الْأُولَى الْأَنَاطِخَةُ وَالثَّانِيَةَ الْبَطَالِسَةُ وَحُرُوبُهَا تُحَاكِي حُرُوبَ الْوَرْدَتَيْنِ فِي تَارِيخِ إِنْكِلْتِرَا وَلَا زَالَتَا فِي كَرٍّ وَفَرٍّ إِلَى انْتِهَاءِ مَجْرَاهُمَا التَّارِيخِيِّ فِي حِجْرِ الدَّوْلَةِ الرُّومَانِيَّةِ الَّتِي الْتَهَمَتِ الْمَمَالِكَ الْمُجَاوِرَةَ لَهَا الْتِهَامَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْجَدَاوِلَ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ

﴿ ٤٢ – الْخَلِيفَةُ وَرَئِيسُ الشُّرْطَةِ ﴾

الشُّرْطَةُ نُدَمَاءُ أَيْقَنَ مُتَكَفِّنٌ
مُتَحَنِّطٌ النِّطْعُ اسْتَدْنَى خَلَعَ
أُفِيضَ زَالَ الضَّوْضَاءُ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَالِكٍ كُنْتُ أَتَوَلَّى الشُّرْطَةَ لِلْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَيَّ فِي نُدَمَاءِ وَلَدِهِ الْهَادِي أَنْ أَضْرِبَهُمْ وَأَحْبِسَهُمْ صِيَانَةً لِلْهَادِي عَنْهُمْ فَيَبْعَثُ إِلَيَّ الْهَادِي يَسْأَلُنِي الرِّفْقَ بِهِمْ وَالتَّخْفِيفَ فِي أَمْرِهِمْ فَلَا أَلْتَفِتُ إِلَى ذَلِكَ وَأَمْضِي لِمَا يَأْمُرُ بِهِ الْمَهْدِيُّ فَلَمَّا وَلِيَ

الْهَادِي الْخِلَافَةَ أَيْقَنْتُ بِالتَّلَفِ فَبَعَثَ إِلَيَّ يَوْمًا فَحَضَرْتُ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ مُتَكَفِّنًا مُتَحَنِّطًا وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ وَالنِّطْعُ وَالسَّيْفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ «لَا سَلَّمَ اللهُ عَلَيْكَ أَتَذْكُرُ يَوْمًا بَعَثْتُ إِلَيْكَ فِي أَمْرِ الْخِزَامِيِّ لَمَّا أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِضَرْبِهِ فَلَمْ تُجِبْنِي وَفِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ» وَجَعَلَ يُعَدِّدُ نُدَمَاءَهُ «فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِي» قُلْتُ «نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَتَأْذَنُ أَنْ أَتَكَلَّمَ» قَالَ «نَعَمْ» قُلْتُ «أَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ وَلَّيْتَنِي مَا وَلَّانِي أَبُوكَ وَأَمَرْتَنِي بِأَمْرٍ فَبَعَثَ إِلَيَّ بَعْضُ وَلَدِكَ بِأَمْرٍ يُخَالِفُ أَمْرَكَ فَأَتَّبَعْتُ أَمْرَهُ وَعَصَيْتُ أَمْرَكَ» قَالَ «لَا» قُلْتُ «فَكَذَلِكَ أَنَا لَكَ وَكَذَلِكَ كُنْتُ لِأَبِيكَ» فَاسْتَدْنَانِي فَقَبَّلْتُ يَدَهُ فَأَمَرَ بِخِلَعٍ أُفِيضَتْ عَلَيَّ وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي مُفَكِّرًا فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِي وَخِفْتُ إِنْ حَدَثَ الْقَوْمَ

بِالْأَمْرِ الَّذِي عَصَيْتُهُ فِيهِ أَنْ يُزِيلُوهُ عَنْ رَأْيِهِ فِيَّ وَإِنِّي لَجَالِسٌ وَبَيْنَ يَدَيَّ خُبْزٌ وَأَنَا أُسَخِّنُهُ وَأُطْعِمُهُ الصَّبِيَّةَ حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا قَدِ انْقَلَعَتْ وَزُلْزِلَتْ مِنْ شِدَّةِ وَقْعِ حَوَافِرِ الْخَيْلِ وَكَثْرَةِ الضَّوْضَاءِ وَإِذَا الْبَابُ قَدْ فُتِحَ وَإِذَا الْخَدَمُ قَدْ دَخَلُوا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَسَطِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَثَبْتُ مِنْ مَجْلِسِي فَقَالَ « خِفْتُ يَا عَبْدَ اللهِ أَنْ يَسْبِقَ إِلَى قَلْبِكَ سُوءُ الظَّنِّ بِأَعْدَائِكَ فَيُزِيلُونَ مَا حَسُنَ مِنْ رَأْيِي فِيكَ فَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِكَ لِأُؤَانِسَكَ وَأُعْلِمَكَ أَنَّ الْوَحْشَةَ قَدْ زَالَتْ فَلَا تَسْتَوْحِشْ »

(العقد الفريد للملك السعيد)

﴿ ٤٣ — اَلتَّحْذِيرُ مِنْ هَوَى النَّفْسِ ﴾

مَحَضَ	عَذَلٌ	أَمَّارَةٌ	نَذِيرٌ
قِرًى	مُحْتَشِمٌ	أُوَقِّرُ	اَلْكَتَمُ
جِمَاحٌ	يَصِمُ	سَائِمَةٌ	مَخْمَصَةٌ

اَلتُّخَمُ عُقْمٌ حِمْيَةٌ نَافِلَةٌ

مَحَّضْتَنِي ٱلنُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إِنَّ ٱلْمُحِبَّ عَنِ ٱلْعُذَّالِ فِي صَمَمِ

إِنِّي ٱتَّهَمْتُ نَصِيحَ ٱلشَّيْبِ فِي عَذَلٍ

وَٱلشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ ٱلتُّهَمِ

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا ٱتَّعَظَتْ

مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ ٱلشَّيْبِ وَٱلْهَرَمِ

وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ ٱلْفِعْلِ ٱلْجَمِيلِ قِرَى

ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ

كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِٱلْكَتَمِ

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا

كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ ٱلْخَيْلِ بِاللُّجُمِ

فَلَا تَرُمْ بِٱلْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا

إِنَّ ٱلطَّعَامَ يُقَوِّى شَهْوَةَ ٱلنَّهِمِ
وَٱلنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى
حُبِّ ٱلرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
فَٱصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ
إِنَّ ٱلْهَوَى مَاتَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ
وَرَاعِهَا وَهِىَ فِى ٱلْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
وَإِنْ هِىَ ٱسْتَحْلَتِ ٱلْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ
كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلسُّمَّ فِى ٱلدَّسَمِ
وَٱخْشَ ٱلدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ ٱلتُّخَمِ
وَٱسْتَفْرِغِ ٱلدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ ٱمْتَلَأَتْ
مِنَ ٱلْمَحَارِمِ وَٱلْزَمْ حِمْيَةَ ٱلنَّدَمِ
وَخَالِفِ ٱلنَّفْسَ وَٱلشَّيْطَانَ وَٱعْصِهِمَا

وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ
وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلَا حَكَماً
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ
أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتَ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتَ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

(البردة للبوصيرى)

﴿ ٤٤ - مَصْنَعُ الْجِسْمِ ﴾

اَلرَّبَاعِيَاتُ اَلنَّوَاجِذُ اَلْمَرِئُ اَللُّعَابُ
اَلْاِزْدِرَادُ زِقٌّ مَعْقُوفٌ اَلْمَصِيرُ
اَلْمَعَا

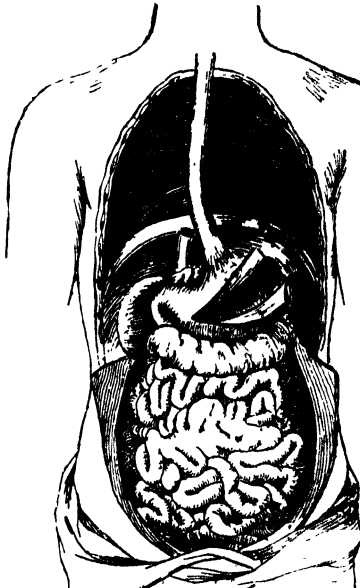

جِسْمُ ٱلْإِنْسَانِ دَائِمُ ٱلْحَرَكَةِ ظَاهِراً وَبَاطِناً لَا يَقْعُدُ عَنْ أَدَاءِ أَعْمَالِهِ ٱلَّتِي تَقُومُ بِهَا ٱلْحَيَاةُ وَلَكِنَّ هَذِهِ ٱلْحَرَكَةَ تُبْرِيهِ وَتُفْقِدُهُ شَيْئاً مِنْ مَادَّتِهِ فَيَحْتَاجُ دَائِماً إِلَى تَجْدِيدِ مَا فَقَدَ وَتَعْوِيضِهِ فِي مَصْنَعٍ مِنَ ٱلْمَصَانِعِ كَمَا يَحْصُلُ فِي سَائِرِ ٱلْعُدَدِ ٱلْآلِيَّةِ

وَيَخْتَلِفُ ٱلْجِسْمُ عَنْ هَذِهِ ٱلْعُدَدِ بِأَنَّهُ يَحْمِلُ مَصْنَعَهُ فِي جَوْفِهِ يُجَدِّدُ بِهِ مَادَّتَهُ كُلَّ لَحْظَةٍ بِغَيْرِ تَوَانٍ أَوْ بَطَالَةٍ وَيَزِيدُ عَلَيْهَا فِي حَدَاثَةِ ٱلسِّنِّ قَدْراً يُنَاسِبُ حَالَةَ نَمَائِهِ وَهَذَا ٱلْمَصْنَعُ مِنْ أَدَقِّ ٱلْمَصَانِعِ وَأَبْدَعِهَا تَكْوِيناً

وَتَرْكِيبًا يُحِيلُ صُنُوفَ ٱلْغِذَاءِ مِنْ نَبَاتٍ وَلَحْمٍ وَشَحْمٍ وَسَائِلٍ إِلَى لَحْمٍ وَدُهْنٍ وَعِظَامٍ وَدَمٍ خَالِصٍ وَيَطْرَحُ ثُفْلَهَا ٱلْفَاسِدَ مِنْ مَجَارٍ وَمَسَارِبَ كَيْلَا يَبْقَى فِي ٱلْجِسْمِ فَسَادٌ

يَدْخُلُ ٱلْغِذَاءُ فِي ٱلْفَمِ فَتَقْضَمُهُ ٱلرَّبَاعِيَاتُ وَتُمَزِّقُهُ ٱلْأَنْيَابُ وَتَطْحَنُهُ ٱلنَّوَاجِذُ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ ٱللُّعَابُ وَيُحِيلُهُ إِلَى عَجِينَةٍ مَائِعَةٍ سَهْلَةِ ٱلِٱزْدِرَادِ فِي ٱلْمَرِيءِ ٱلَّذِي تَجْرِي فِيهِ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ ٱلْمَعِدَةَ فَتَخْتَلِطَ بِعَصِيرِهَا وَتَمْتَزِجَ بِهِ تَمَامَ ٱلِٱمْتِزَاجِ لِأَنَّ جَوْفَ ٱلْمَعِدَةِ فِي حَرَكَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ تُقَلِّبُ ٱلطَّعَامَ وَٱلْعَصِيرَ فَيَتَّحِدَانِ وَيَسْتَحِيلُ ٱلطَّعَامُ إِلَى مَادَّةٍ مَائِعَةٍ لَا تُشْبِهُ أَصْلَ جَوْهَرِهَا وَٱلْمَعِدَةُ مَمْدُودَةٌ عَلَى عَرْضِ ٱلْبَطْنِ وَهِيَ شِبْهُ زِقٍّ صَغِيرٍ فَمُهَا فِي ٱلْيَسَارِ يَضِيقُ مِنْ فَوْقُ لِيَتَّصِلَ بِٱلْمَرِيءِ وَبِطَانَتُهَا تَحْتَوِي عَلَى غِشَاءٍ يُحَاكِي ٱلْقَطِيفَةَ وَطَرَفُهَا ٱلْأَيْمَنُ مَعْقُوفٌ إِلَى أَسْفَلَ لِيَتَّصِلَ بِٱلْمَصِيرِ ٱلَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ ٱلطَّعَامُ بَعْدَ هَضْمِهِ

فَيَعْمَلُ فِيهِ ٱلْمَعَا وَإِفْرَازُ ٱلْكَبِدِ ثُمَّ تَمْتَصُّ عُرُوقُ ٱلدَّمِ خُلَاصَتَهُ وَتَسِيرُ بِهَا إِلَى جَمِيعِ ٱلْأَعْضَاءِ فَيَأْخُذُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهَا قِسْطًا عَلَى قَدْرِ ٱحْتِيَاجِهِ وَمَا بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ ثُفْلٌ فَاسِدٌ يَتَسَرَّبُ فِي ٱلْأَمْعَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ ٱلْجِسْمِ وَمِنْ هَذَا ٱلْبَيَانِ تَتَّضِحُ فَائِدَةُ إِحْسَانِ مَضْغِ ٱلطَّعَامِ وَجَعْلِ فَتْرَةٍ بَيْنَ كُلِّ أَكْلَةٍ وَأُخْرَى تَكْفِي لِتَمَامِ ٱلْهَضْمِ حَتَّى لَا يَدْخُلَ طَعَامٌ لَمْ يُهْضَمْ عَلَى آخَرَ هُضِمَ بَعْضَ ٱلْهَضْمِ لِئَلَّا تُجْهَدَ ٱلْمَعِدَةُ فَتَكِلَّ وَتَمْرَضَ

﴿ ٤٥ — فِي سَبِيلِ ٱلْوَطَنِ ﴾

مَشَافِرُ	ظُبَاتٌ	يَتَسَرَّبُ	صَرْعَى
مُضَرَّجٌ	بَثٌّ	صَدْعٌ	شَوْكَةٌ
مِغْوَارٌ	فُرْصَةٌ	تُنَكِّلُ	ٱلْمُتَحَفِّزَةُ
يَذُودُ	عَرِينٌ	ٱلْأَسِنَّةُ	ٱلثُّلْمَةُ
ٱلدَّمَارُ			

فِي أَوَاخِرِ ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ كَانَتِ ٱلْحَرْبُ نَاشِبَةً بَيْنَ ٱلنِّمْسَوِيِّينَ وَ ٱلسُّوِسْرِيِّينَ ٱلَّذِينَ هَاجُوا يَطْلُبُونَ ٱسْتِقْلَالَ بِلَادِهِمْ مِنْ أَيْدِي ٱلْغَاصِبِينَ عَلَى مَشَافِرِ ٱلسُّيُوفِ وَظُبَاتِ ٱلرِّمَاحِ فَهَاجَمَهُمُ ٱلنِّمْسَوِيُّونَ وَتَكَاثَرُوا عَلَيْهِمْ فِي وَقْعَةِ سِمْبَاخَ وَحَصَرُوهُمْ فِي أَجَمَةٍ كَثِيفَةِ ٱلْأَشْجَارِ وَأَحَاطُوا بِهِمْ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمُ ٱلْخِنَاقَ حَتَّى كَادَ ٱلْيَأْسُ يَتَسَرَّبُ إِلَى نُفُوسِهِمُ ٱلْبَاسِلَةِ ٱلْمُسْتَمِيتَةِ فِي سَبِيلِ خَلَاصِ ٱلْوَطَنِ وَ ٱفْتِدَائِهِ بِٱلْأَمْوَالِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْأَنْفُسِ وَكُلَّمَا خَرَجَ نَفَرٌ مِنْهُمْ يُهَاجِمُونَ ٱلْعَدُوَّ وَقَعُوا صَرْعَى عَلَى رُءُوسِ ٱلرِّمَاحِ

ٱلْمَصْفُوفَةِ مُضَرَّجِينَ بِدِمَائِهِمُ ٱلزَّكِيَّةِ وَأَرْوَاحُهُمُ ٱلْبَرِيئَةُ تَشْكُو إِلَى ٱللهِ بَثَّهَا وَبَلْوَاهَا مِنْ ظُلْمِ ٱلظَّالِمِينَ

وَلَمَّا ضَاقَتْ بِهِمُ ٱلْحِيَلُ فِي صَدْعِ صُفُوفِ ٱلنِّمْسَوِيِّينَ وَكَسْرِ شَوْكَتِهِمْ بَرَزَ وَنْكِلْرِيدُ ٱلسُّوسْرِيُّ مِنْ بَيْنِ مُوَاطِنِيهِ وَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةَ شَهْمٍ مِغْوَارٍ أَنِ ٱتَّبِعُونِي أَفْسَحْ لَكُمْ فُرْجَةً فِي صُفُوفِ ٱلْعَدُوِّ فَتُنَكِّلُوا بِهِمْ تَنْكِيلاً وَخَرَجَ يَعْدُو مُسْتَقْبِلاً تِلْكَ ٱلرِّمَاحَ ٱلْمُتَحَفِّزَةَ لِإِعْدَامِهِ وَوَثَبَ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ وَثْبَةَ ٱللَّيْثِ يَذُودُ عَنْ عَرِينِهِ وَقَبَضَ بِيَدَيْهِ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ ٱلْأَسِنَّةِ فَٱخْتَرَقَتْ صَدْرَهُ وَمَزَّقَتْ فُؤَادَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْفِلْ بِمَا أَنْتَابَهُ مِنَ ٱلْآلَامِ وَلَبِثَ قَابِضاً عَلَى ٱلرِّمَاحِ يُمَكِّنُهُمْ مِنْ صَدْرِهِ وَخَرَّ بِهَا عَلَى ٱلْأَرْضِ فَأَقْبَلَ مُوَاطِنُوهُ عَلَى تِلْكَ ٱلثُّلْمَةِ فِي صُفُوفِ ٱلْأَعْدَاءِ وَأَشْبَعُوهُمْ طَعْناً وَضَرْباً وَتَقْتِيلاً

فَٱضْطَرَبَتْ تِلْكَ ٱلصُّفُوفُ وَٱرْتَعَبَ ٱلْعَسْكَرُ وَحَارَ

بَأْسُهُمْ وَ اخْتَلَّ نِظَامُهُمْ وَ انْقَلَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ثُمَّ لَاذُوا بِأَذْيَالِ الْفِرَارِ خَوْفًا مِمَّا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَ الدَّمَارِ « وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَ اللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » فَانْتَصَرَ السُّوسْرِيُّونَ الْأَبْطَالُ وَ مُتِّعُوا بِالْحُرِّيَّةِ وَ الِاسْتِقْلَالِ بَعْدَ أَنْ بَذَلَ بَطَلُهُمْ وَنَكِلِيدُ حَيَاتَهُ الشَّرِيفَةَ وَمَاتَ شَهِيدَ الْإِخْلَاصِ

﴿ ٤٦ — ذَكَاءُ الْقَاضِي ﴾

الدِّيبَاجُ	عَرَا	يُبِلُّ	التَّرِيثُ
يَحْقِرُ	يُدَلِّسُ	مُتَنَكِّرٌ	يَسْبِرُ
فِرْيَةٌ	قِيدُ	مَهْيَمْ	

اسْتَأْجَرَ أَحَدُ التُّجَّارِ جَمَّالًا يَحْمِلُ لَهُ بِضَاعَةً نَفِيسَةً مِنَ الْحَرِيرِ وَ الدِّيبَاجِ اشْتَرَاهَا مِنْ حَلَبَ لِيَتَّجِرَ بِهَا فِي إِسْتَنْبُولَ وَاتَّفَقَ مَعَهُ عَلَى كِرَاءٍ مَعْدُودٍ وَسَارَ الرَّكْبُ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا

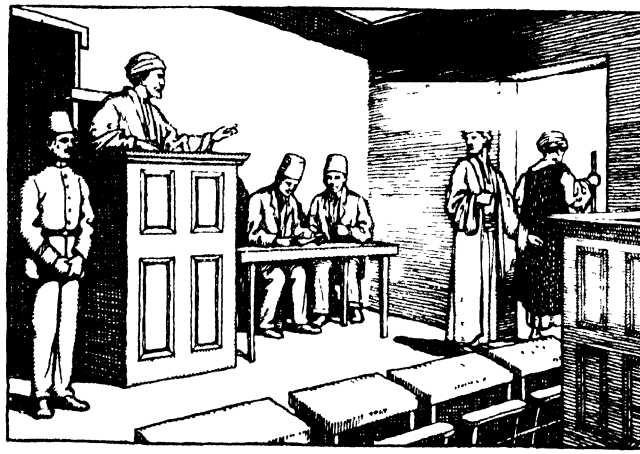

وَبَعْدَ مَسِيرَةِ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ عَرَا التَّاجِرَ مَرَضٌ شَدِيدٌ اضْطَرَّهُ إِلَى التَّخَلُّفِ عَنِ الرَّكْبِ وَالتَّرَيُّثِ فِي أَقْرَبِ قَرْيَةٍ يَتَمَرَّضُ فِيهَا حَتَّى يُبْلَّ فَوَصَّى الْجَمَّالَ بِمَتَاعِهِ وَأَذِنَ لَهُ بِمُتَابَعَةِ السَّيْرِ عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَانْتِظَارِهِ فِي إِسْتَنْبُولَ إِلَى أَنْ يَلْحَقَ بِهِ

وَمَا كَادَ الْجَمَّالُ يَبْلُغُ ذَلِكَ الْمَكَانَ الْقَصِيَّ حَتَّى وَسْوَسَ الشَّيْطَانُ فِي صَدْرِهِ وَسَوَّلَتْ لَهُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ أَنْ يَخْفِرَ ذِمَّتَهُ وَيَنْقُضَ عَهْدَهُ وَيَخُونَ مَنِ ائْتَمَنَهُ

فَبَاعَ ٱلْبِضَاعَةَ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَغَيَّرَ ٱسْمَهُ وَلَبُوسَهُ وَٱدَّعَى أَنَّهُ تَاجِرٌ لِيُدَلِّسَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلِكَيْلَا يَهْتَدِيَ ٱلتَّاجِرُ إِلَيْهِ مَتَى حَضَرَ وَجَدَّ فِي ٱلْبَحْثِ عَنْهُ وَلَمَّا قَدِمَ ٱلتَّاجِرُ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ طَلَبَ ٱلرَّجُلَ فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ فَطَفِقَ يَطُوفُ أَنْحَاءَهَا لَعَلَّهُ يَقَعُ بِهِ بِٱلْمُصَادَفَةِ فَرَآهُ فِي ٱلطَّرِيقِ مُتَنَكِّرًا مُسْتَخْفِيًا فِي زِيِّ ٱلتُّجَّارِ فَأَمْسَكَ بِتَلَابِيبِهِ وَٱسْتَصْرَخَ وَٱسْتَغَاثَ فَأَقْبَلَ رِجَالُ ٱلشُّرْطَةِ وَسَاقُوهُمَا إِلَى ٱلْقَاضِي وَهُنَاكَ قَصَّ ٱلتَّاجِرُ قِصَّتَهُ فَأَنْكَرَهَا ٱلْجَمَّالُ وَقَالَ إِنَّهَا فِرْيَةُ كَاذِبٍ مُحْتَالٍ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَلِبَ مَا مَعَهُ مِنَ ٱلْمَالِ وَلَمْ يَكُنْ لَدَى ٱلتَّاجِرِ ٱلْمَسْرُوقِ بَيِّنَةٌ يُقِيمُ بِهَا حُجَّتَهُ عَلَى غَرِيمِهِ وَأَدْرَكَ ٱلْقَاضِي مِنْ خِلَالِ ٱلْحَدِيثِ أَنَّ ٱلتُّهْمَةَ صَحِيحَةٌ فَصَمَّمَ عَلَى أَنْ يَسْبُرَ ٱلْمَسْأَلَةَ بِٱلْحِيلَةِ وَٱلدَّهَاءِ فَأَمَرَ ٱلرَّجُلَيْنِ بِٱلٱنْصِرَافِ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى إِذَا مَا أَبْعَدَا عَنْهُ قِيدَ قَصَبَةٍ صَاحَ عَلَيْهِمَا « يَا جَمَّالُ » فَٱلْتَفَتَ

ذَلِكَ ٱلْخَئُونُ ٱلْمُتَنَكِّرُ وَقَالَ « مَهْيَمْ » فَقَامَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ وَأُجْبِرَ عَلَى رَدِّ ٱلْمَالِ إِلَى صَاحِبِهِ وَنَالَ شَدِيدَ ٱلْعِقَابِ جَزَاءَ مَا ٱقْتَرَفَ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْعُدْوَانِ

﴿ ٤٧ — آيَاتُ ٱلْوَفَاءِ ﴾

إِبَّانٌ يَلْجَأُ أَهْدَابٌ مَأْوًى

هَلَعَ رَوْعٌ

مِنْ عَجَائِبِ مَا يُؤْثَرُ إِبَّانَ فَتْحِ ٱلْأَنْدَلُسِ أَنَّ شَابًّا إِسْبَانِيًّا ٱعْتَدَى عَلَى آخَرَ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْعَرَبِ وَقَتَلَهُ ثُمَّ فَرَّ هَارِبًا حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى بُسْتَانٍ فَٱرْتَأَى أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ فَدَخَلَهُ فَوَجَدَ فِيهِ شَيْخًا جَلِيلًا قَدْ نَاهَزَ ٱلْمِائَةَ مِنْ عُمُرِهِ فَتَعَلَّقَ بِأَهْدَابِهِ لِيُجِيرَهُ مِنْ أَذَى أَعْدَائِهِ

فَجَاءَ بِهِ ٱلرَّجُلُ إِلَى مَأْوًى مُنْفَرِدٍ وَخَبَّأَهُ فِيهِ وَبَعْدَ ذَلِكَ عَلَا ٱلصِّيَاحُ بِفِنَاءِ ٱلْبُسْتَانِ وَدَخَلَ نَفَرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يَحْمِلُونَ ٱلْقَتِيلَ فَنَظَرَهُ ٱلشَّيْخُ فَوَجَدَهُ ٱبْنَهُ وَٱعْتَقَدَ أَنَّ

ذَلِكَ ٱلشَّابُّ ٱلَّذِى ٱخْتَبَأَ لَدَيْهِ هُوَ ٱلَّذِى قَتَلَهُ فَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْأَسَى كُلَّ مَأْخَذٍ وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَسَكَّنَ جَأْشَهُ وَٱنْزَوَى فِى إِحْدَى حُجُرَاتِ بَيْتِهِ حَتَّى أَتَى ٱللَّيْلُ وَهَدَأَتِ ٱلْأَصْوَاتُ ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ عَلَى ٱلْفَتَى وَنَبَّأَهُ بِٱلْأَمْرِ فَلَمَّا وَعَى ٱلْفَتَى قَوْلَهُ هَلَعَ فُؤَادُهُ وَرَأَى ٱلْمَوْتَ عِيَانًا فَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ يُؤَمِّنُهُ وَيُهَدِّئُ رَوْعَهُ حَتَّى سُرِّىَ هَمُّهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ «مَا كُنْتُ لِأَخْفُرَ ذِمَّتِى وَأَنْقُضَ عَهْدِى وَلَكِنِّى لَا آمَنُ أَنْ يَجِىءَ قَوْمِى وَيُسِيئُوا إِلَيْكَ فَخُذْ مَؤُونَةَ سَفَرِكَ وَٱرْحَلْ عَنِّى وَٱللهُ ٱلْبَارِئُ وَلِىُّ أَمْرِى »

﴿ ٤٨ — وَصْفُ مِصْرَ ﴾

دَاهِيَةٌ	أَسَاطِينُ	اِمْتِشَاقٌ	رِبْقَةٌ
يَسُومُونَ	اَلْخَسْفُ	اَلْآفَاقُ	اِسْتَتَبَّ
غَبْرَاءُ	أَعْفَرُ	عَجَاجٌ	نَكَصَ
طَمَى	اَلرَّابِيَةُ	زَبَرْجَدَةٌ	صَنَادِيدُ

عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ بَطَلٌ مِغْوَارٌ مِنْ صَنَادِيدِ قُوَّادِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَدَاهِيَةٌ مِنْ أَسَاطِينِ ٱلسِّيَاسَةِ ٱلْمُجَرَّبِينَ أَوْفَدَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ لِيَفْتَحَ مِصْرَ فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا ٱلْقِبْطُ بِغَيْرِ ٱمْتِشَاقِ ٱلْحُسَامِ طَمَعًا فِي ٱلْخَلَاصِ مِنْ رِبْقَةِ جَوْرِ ٱلرُّومِ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَسُومُونَهُمْ صُنُوفَ ٱلْخَسْفِ وَٱلْعَذَابِ لِأَنَّ صِيتَ ٱلْمُسْلِمِينَ كَانَ قَدْ طَبَّقَ ٱلْآفَاقَ بِمَا سَرَى فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ ٱلتَّقْوَى وَمُعَامَلَةِ ٱلنَّاسِ عَامَّةً بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ وَلَمَّا ٱسْتَتَبَّ لَهُ ٱلْحُكْمُ فِي أَرْضِ مِصْرَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ كِتَابًا يَصِفُهَا بِهِ فَقَالَ

« مِصْرُ تُرْبَةٌ غَبْرَاءُ وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ طُولُهَا شَهْرٌ وَعَرْضُهَا عَشْرٌ يَكْتَنِفُهَا جَبَلٌ أَغْبَرُ وَرَمْلٌ أَعْفَرُ يَخُطُّ وَسَطَهَا نَهْرٌ مَيْمُونُ الْغَدَوَاتِ مُبَارَكُ الرَّوْحَاتِ يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ كَجَرْيِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَابِيعُهَا حَتَّى إِذَا أُصْلِحَ عَجَاجُهُ وَتَعَظَّمَتْ أَمْوَاجُهُ لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ الْقَوَارِبِ وَصِغَارِ الْمَرَاكِبِ فَإِذَا تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَصَ عَلَى عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَى فِي حِدَّتِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ الْقَوْمُ لِيَحْرُثُوا بُطُونَ أَوْدِيَتِهِ وَرَوَابِيَهُ يَبْذُرُونَ الْحَبَّ وَيَرْجُونَ الثِّمَارَ مِنَ الرَّبِّ حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ النَّدَى وَغَذَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدُرُّ حِلَابُهُ وَيُغَنِّي ذُبَابُهُ فَبَيْنَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ إِذْ هِيَ عَنْبَرَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هِيَ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ فَتَعَالَى اللَّهُ

الفعّالُ لِمَا يَشَاءُ »

﴿ ٤٩ — وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾

اَلْأَنْعَامُ جَائِرٌ تُسِيمُونَ ذَرَأَ

مَوَاخِرُ تَمِيدُ جَرَمٌ

« وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ
لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا
وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا
وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ
اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ
يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ
إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ
مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

(القرآن الكريم)

﴿ ٥٠ — اَلفَرَجُ بَعْدَ اَلْيَأْسِ ﴾

لُجَجٌ اَلْهَوَاجِسُ شَبَحٌ يَجِيشُ
اَلْقُنُوطُ اَللَّقَى اَلْمَيْمُونُ اَلْمَدُّ
اَلْمَخَاضَةُ قُفُولٌ اَلْعَرَاءُ تَرَبَّصَ اَلْجَذْرُ

خَرَجْتُ يَوْمًا لِلنُّزْهَةِ عَلَى شَاطِئِ اَلْبَحْرِ فَسَاقَنِي اَلْقَدَرُ جِهَةَ اَلشَّمَالِ اَلْغَرْبِيِّ وَأَنَا غَارِقٌ فِي لُجَجِ اَلْهَوَاجِسِ وَاَلْهُمُومِ وَإِذَا اَلْبَحْرُ كَأَنَّهُ انْفَلَقَ وَتَجَلَّى عَلَى ظَهْرِهِ شَبَحُ قَارِبٍ مَقْلُوبٍ فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ اَلْخَيَالُ قَدْ لَعِبَ بِبَصَرِي وَجَعَلَهُ يَرَى مَا كَانَ يَجِيشُ فِي خَاطِرِي وَتَصْبُو إِلَيْهِ نَفْسِي وَلَوْ أَنَّهُ لَا وُجُودَ لَهُ لِأَنَّ شِدَّةَ اَلْيَأْسِ وَاَلْقُنُوطِ حَمَلَتْنِي عَلَى اَلْجَزْمِ بِأَنَّ تِلْكَ اَلْأَمْوَاجَ اَلْقَاسِيَةَ اَلَّتِي كَانَتِ اَلسَّبَبَ فِي تَعَسِي وَشَقَائِي لَا تَحْمِلُ إِلَيَّ سَفِينَةَ اَلنَّجَاةِ غَيْرَ أَنَّ اَلْأَمَلَ كَثِيرًا مَا تَسَلَّطَ عَلَى اَلنُّفُوسِ اَلْيَائِسَةِ فَانْتَشَلَهَا مِنْ مَهَاوِي اَلْقُنُوطِ وَجَاشَ فِي صَدْرِي تِلْكَ اَلسَّاعَةَ ذِكْرَى بِلَادِي

وَزَوْجَتِي وَأَوْلَادِي فَانْتَزَعْتُ ثِيَابِي وَخُضْتُ فِي الْمَاءِ
كَأَنِّي أُسَابِقُ الرِّيحَ وَكُلَّمَا ابْتَعَدْتُ عَنِ الشَّاطِئِ ازْدَادَ

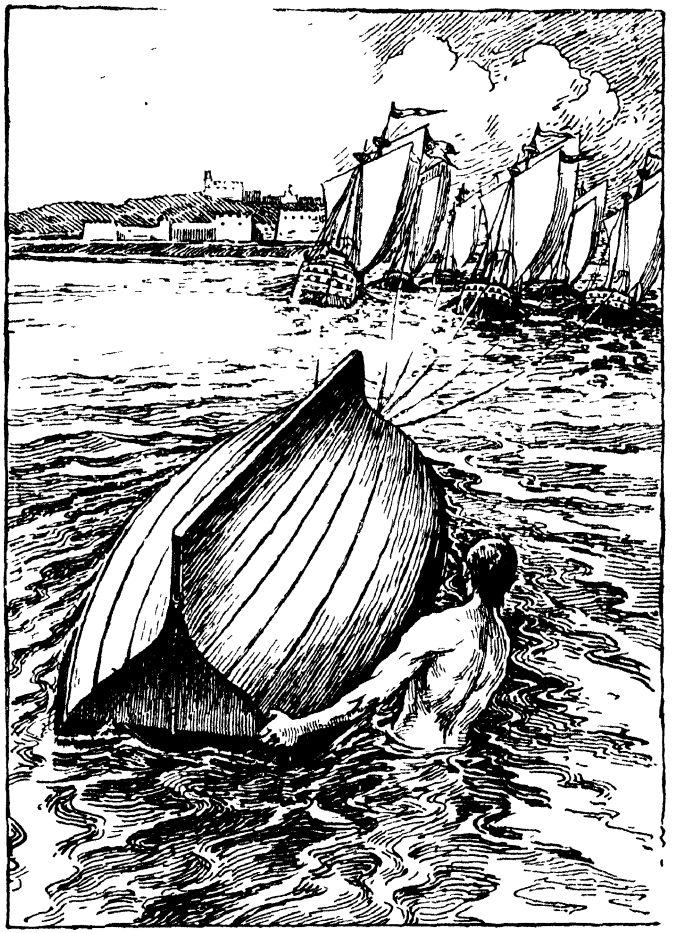

تَجَسُّمُ ٱلشَّبَحِ وَٱقْتِرَابُهُ إِلَى ٱلْحَقِيقَةِ فَيَدْفَعُنِي تَوَقُّعُ ٱلْفَرَجِ إِلَى ٱلْجَرْيِ نَحْوَ ذَلِكَ ٱللَّقَى ٱلذِي لَا يُقَوَّمُ وَأَخِيراً ٱزْدَادَ ٱلْبَحْرُ عَنْ قَامَتِي فَاطَّرَحْتُ عَلَى ظُهُورِ ٱلْأَمْوَاجِ أَسْبَحُ بِمَا تَجَدَّدَ فِيَّ مِنْ قُوَّةٍ وَنَشَاطٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى ٱلْقَارِبِ ٱلْمَيْمُونِ وَدُرْتُ حَوْلَهُ أَخْتَبِرُ مَتَانَتَهُ فَأَلْفَيْتُهُ سَلِيماً مِنَ ٱلْعَطَبِ فَدَفَعْتُهُ أَمَامِي وَأَنَا سَابِحٌ يُسَاعِدُنِي تَيَّارُ ٱلْمَدِّ بِتَوْفِيقٍ مِنَ ٱللهِ وَرَحْمَةٍ حَتَّى بَلَغْتُ بَدْءَ ٱلْمَخَاضَةِ فَوَقَفْتُ عَلَى قَدَمَيَّ أُجَدِّدُ ٱلْقُوَّةَ وَٱلنَّشَاطَ ثُمَّ وَاصَلْتُ ٱلسَّيْرَ وَٱلْقَارِبُ خَلْفِي أَسْحَبُهُ حَتَّى أَحْتَكَّ بِقَعْرِ ٱلْبَحْرِ فَتَرَبَّصْتُ أَنْتَظِرُ قُفُولَ ٱلْمِيَاهِ بِٱلْجَزْرِ فَتَبْقَى سَفِينَتِي بِٱلْعَرَاءِ وَحِينَئِذٍ يُمْكِنُنِي أَنْ أَسْتَعِينَ بِٱلْمَلَّاحِينَ وَٱلْعُمَّالِ فِي جَذْبِهَا إِلَى ٱلسَّاحِلِ

(رحلات جلفر)

﴿ ٥١ — اَلرُّخَامُ ﴾

اَلرَّدَهَاتُ	اَلْمُوسِرُ	أَنْصَابٌ	نُصُبٌ
مَقَاطِعُ	اَلنَّاصِعُ	اَلْآكَامُ	اَلْأَخَادِيدُ
وعِرَةٌ	تُعَانِي	وَخْزٌ	مَنَاخِسُ
عِقَابٌ	يَنْسِفُونَ	اَلْبُوقُ	

تُرَى اَلرَّدَهَاتُ فِي جَامِعِ اَلْقَلْعَةِ وَفِي كَثِيرٍ مِنَ اَلْمَسَاجِدِ وَفِي دُورِ اَلْمُوسِرِينَ مُبَلَّطَةً بِحِجَارَةٍ بَيْضَاءَ حَسَنَةِ اَلْمَنْظَرِ وَتُرَى عَلَى سَطْحِهَا عُرُوقٌ بَعْضُهَا مُنْحَنٍ وَالْبَعْضُ مُسْتَقِيمٌ أَوْ مُنْكَسِرٌ

هَذَا اَلْحَجَرُ هُوَ اَلرُّخَامُ وَيُؤْتَى بِأَحْسَنِهِ مِنْ بِلَادِ اَلطَّلْيَانِ اَلَّتِي فِيهَا أَفْخَرُ كُنُوزِ اَلصَّنَائِعِ اَلرُّخَامِيَّةِ مِنْ أَنْصَابٍ بَدِيعَةٍ رَائِعَةٍ وَنُصُبٍ عَلَى اَلْقُبُورِ فَاخِرَةٍ وَتَمَاثِيلَ مُتْقَنَةٍ تَذْكَاراً لِلْمُلُوكِ وَالْأَبْطَالِ وَفُحُولِ اَلشُّعَرَاءِ وَكِبَارِ اَلْعُلَمَاءِ

**** ****

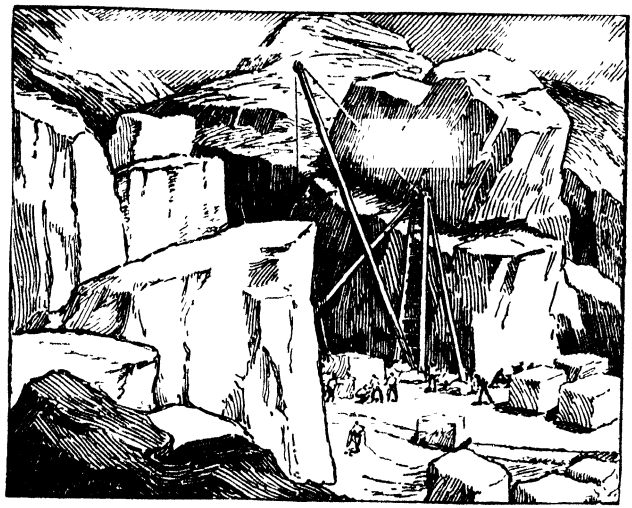

وأكبرُ مقاطعِ الرُّخامِ الأبيضِ الناصعِ وأشهرُها مقاطعُ كرارةَ التي تكتنفُها الآكامُ الرُّخاميةُ منْ كلِّ جانبٍ فتُكسبُها جمالًا في منظرِها وتُوجدُ لأهلِها عملاً يرتزقونَ منهُ رزقاً حسناً وأكثرُ أهلِ كرارةَ. يعملونَ في الرُّخامِ بعضُهمْ يقطعُهُ والبعضُ ينحتُهُ وآخرونَ ينقلونَهُ على عجلاتٍ ضخمةٍ يجرُّها ثمانيةٌ منَ الثيرانِ فأكثرُ على قدرِ ثقلِ القطعةِ المحمولةِ وتجرى

ٱلْعَجَلَاتُ فِي أَوْدِيَةٍ كَثِيرَةِ ٱلْأَخَادِيدِ مَمْلُوءَةٍ طُرُقُهَا بِٱلرِّمَالِ وَٱلْحِجَارَةِ ٱلَّتِي تَجْعَلُهَا وَعِرَةً جِدًّا حَتَّى أَنَّهَا كَثِيراً مَا تَكُونُ سَبَباً فِي هَلَاكِ ٱلثِّيرَانِ مِنْ جَهْدِ مَا تُعَانِيهِ فِي جَرِّ ٱلْعَجَلَاتِ وَمَا تُلَاقِيهِ مِنْ سَائِقِيهَا ٱلْقُسَاةِ ٱلْغِلَاظِ ٱلْقُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَفْتُرُونَ عَنْ ضَرْبِهَا وَوَخْزِهَا بِمَنَاخِسِهِمُ الضَّخْمَةِ ذَاتِ ٱلْأَسِنَّةِ ٱلْحَادَّةِ ٱلَّتِي كَثِيراً مَا يُدْخِلُونَهَا فِي مَنَاخِرِهَا لِيُكْرِهُوهَا عَلَى ٱلْعَدْوِ حَتَّى فِي عِقَابِ ٱلْآكَامِ وَيَسْمَعُ ٱلصَّاعِدُ عَلَى آكَامِ كَرَارَةَ صَوْتَ ٱلْبُوقِ ٱلَّذِي يُنْذِرُ ٱلْعَمَلَةَ بِقُرْبِ ٱنْفِجَارِ ٱلْبَارُودِ ٱلَّذِي يَنْسِفُونَ بِهِ ٱلصَّخْرَ فَمَتَى ٱنْفَجَرَ رُئِيَتْ قِطَعُ ٱلْأَحْجَارِ تَتَطَايَرُ فِي ٱلْجَوِّ إِلَى عُلُوٍّ عَظِيمٍ

﴿ ٥٢ — وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

بَسْطَةٌ أَمْحَلَ الصُّقْعُ ٱلْقَحْطُ

ٱللَّأْزِبَةُ ٱلْمَنِيَّةُ ٱلتَّعَفُّفُ ٱلِٱبْتِذَالُ أَتْحَفَ

مِمَّا يُرْوَى لِذَوِى الْأَفْئِدَةِ الْمُسْتَيْقِظَةِ مَاسُمِعَ فِى حَدِيثٍ عَنْ بَعْضِ عُظَمَاءِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ حِينَ تَمَّتْ نِعْمَتُهُ وَاتَّسَعَتْ بَسْطَتُهُ وَنَفَذَتْ فِى دَوْلَةِ مَخْدُومِهِ كَلِمَتُهُ أَنَّهُ سُئِلَ يَوْمًا مَا الَّذِى أَوْصَلَكَ إِلَى التَّقَرُّبِ مِنَ الْمَلِكِ حَتَّى أَلْحَقَكَ فِى إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ بِخَوَاصِّ أَهْلِهِ فَقَالَ مَامَعْنَاهُ

اِعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا أَمْحَلَ هَذَا الصُّقْعُ فِى تِلْكَ السَّنَةِ الَّتِى سَمِعْتَ بِهَا فِى عَامِ الْقَحْطِ وَاضْطَرَبَ النَّاسُ وَاشْتَدَّتِ اللَّازِبَةُ وَضَاقَ الْأَمْرُ وَكَثُرَ الْجُوعُ وَاسْتَوَى فِى الشِّدَّةِ الْمُقِلُّ وَالْمُكْثِرُ وَنَفِدَتْ ذَخَائِرُ الْأَغْنِيَاءِ وَسَحَبَتِ الْمَنِيَّةُ ذَيْلَ الْهَلَاكِ عَلَى الضُّعَفَاءِ بَقِيتُ أَنَا وَأَهْلِى أَيَّامًا فِى قَبْضَةِ الْجُوعِ وَالْحَاجَةِ وَالْقِلَّةِ فَدَعَتِ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْمَلِكِ وُرَيْقَةً لَطِيفَةً وَكَانَ ذَا مَيْلٍ إِلَى الْفَضْلِ وَرِعَايَةٍ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَيْهِ وَمِمَّا قُلْتُهُ إِنَّهُ قَدْ عَرَضَتْ فَاقَةٌ أَنْطَقَتِ التَّعَفُّفَ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ

بِالْمَسْأَلَةِ وَأَحْوَجَتْ أَهْلَ الصِّيَانَةِ إِلَى تَحَمُّلِ ذُلِّ الِابْتِذَالِ وَقَدْ وَقَعَ فِي النَّفْسِ أَنَّ فِي رَأْفَةِ الْمَلِكِ مَا يَكْشِفُ ضُرًّا وَيَسْتَرِقُّ حُرًّا وَيَسْتَوْجِبُ عَلَى الْأَبَدِ حَمْدًا وَشُكْرًا وَخَتَمْتُهَا بِقَوْلِي

فَامْنُنْ بِمَا يُغْنِي وَيُثْمِرُ دَائِمًا
حَمْدًا يَدُومُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا وَقَعَتْ مِنْهُ بِمَوْقِعٍ فَأَرْسَلَ غُلَامًا عَلَى يَدِهِ مَا دَفَعَ الْحَاجَةَ فَكَتَبْتُ عَلَى يَدِ الْغُلَامِ كِتَابَ شُكْرٍ لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ أَطْرَبَهُ وَقَالَ هَذَا الرَّجُلُ أَهْلٌ لِلْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا شُكْرُهُ لِلْقَلِيلِ مِنْ بِرِّنَا فَكَيْفَ يَكُونُ إِذَا أَتْحَفْنَاهُ بِإِنْعَامِنَا وَأَلْحَقْنَاهُ بِخَوَاصِّنَا فَاسْتَدْعَانِي وَخَصَّنِي بِلَطَائِفِ بِرِّهِ وَفَعَلَ بِي مَا رَأَيْتَ بَعْضَ أَثَرِهِ فَبَذَلْتُ لَهُ مَا فِي وُسْعِي وَجُهْدِي مِنْ مُنَاصَحَةٍ وَحَمْدٍ وَشُكْرٍ وَخِدْمَةٍ وَجَدِيرٌ بِمَنْ يَشْكُرُ أَنْ يَشْمَلَهُ

ٱلْمَزِيدَ فَإِنَّ رَبَّ ٱلْعِزَّةِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ مَعَ ٱسْتِغْنَائِهِ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ وَلَا يَنْتَفِعُ بِكَثْرَةِ شُكْرِهِمْ وَلَا يَضُرُّهُ زِيَادَةُ كُفْرِهِمْ قَدْ بَذَلَ ٱلْمَزِيدَ لِمَنْ شَكَرَ وَأَعَدَّ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ لِمَنْ كَفَرَ فَقَالَ تَعَالَى « وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » فَمَا ظَنُّكَ بِٱلْإِنْسَانِ ٱلَّذِي يَسْتَمِيلُهُ نَشْرُ ٱلشُّكْرِ وَيُطْرِبُهُ ذِكْرُ ٱلْحَمْدِ

(العقد الفريد للملك السعيد)

﴿ ٥٣ — ٱلْحِزْبُ ﴾

حُشِدَ	كَتَائِبُ	ٱلسَّوَارِي	رَهْطٌ
أَبَاطِحُ	قَسْطَلٌ	ٱلسَّرَابُ	ثَاكِلٌ
عُبَابٌ	ٱللُّغُوبُ	مُهَيْنَمٌ	هَامَةٌ
تَرَنَّحَ	نَشْوَانُ	ٱلطَّلَى	ثَاكِلٌ

وَمَوَاكِبٌ كَالسَّيْلِ أَوْ كَاللَّيْلِ قَدْ
حُشِدَتْ بِسَهْلٍ حَوْلَهُ هَضَبَاتُ
وَكَتَائِبٌ كَبَوَارِجٍ أَعْلَامُهَا
عَمَدُ السَّوَارِي وَالْقَنَا الْمِرْسَاةُ
سَالَتْ بِكَثْرَتِهَا الْأَبَاطِحُ مِثْلَمَا
سَالَتْ بِرَهْطِ حَجِيجِهَا عَرَفَاتُ
أَصْوَاتُهَا رَعْدٌ وَلَمْعُ نِصَالِهَا
بَرْقٌ وَقَسْطَلُ جَوِّهَا ظُلُمَاتُ
وَالْبَرُّ بَحْرٌ وَالسَّرَابُ عُبَابُهُ
وَالرَّكْبُ سُفْنٌ وَالرُّبَى مَوْجَاتُ
أَمْسَتْ فَغَيَّبَهَا الظَّلَامُ بِجَوْفِهِ
وَبَدَا سُكُونٌ طَيُّهُ حَرَكَاتُ
أَلْقَى اللُّغُوبُ عَلَى الصَّعِيدِ هِيَاكِلًا
قَدْ كَهْرَبَتْهَا بِالْكَرَى نَسَمَاتُ

حَتَّى إِذَا نَصَبَ ٱلصَّبَاحُ عَمُودَهُ
وَٱللَّيْلَ شَقَّتْ حُجْبَهُ لَمَعَاتُ

هَوَتِ ٱلرِّجَالُ عَلَى ٱلرِّجَالِ كَأَنَّهُمْ
قُلَلُ ٱلْجِبَالِ مُتُونُهَا ٱلصَّهَوَاتُ

وَتَعَانَقَتْ فَوْقَ ٱلسَّوَاعِدِ بِيضُهُمْ
تَحْتَ ٱلْعَرَاءِ كَأَنَّهَا غَادَاتُ

وَتَرَنَّحَتْ سُمْرُ ٱلْقَنَا نَشْوَانَةً
بِدَمِ ٱلطُّلَى فَتَزَحْزَحَتْ هَامَاتُ

وَتَطَايَرَتْ نَحْوَ ٱلْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
شُهُبٌ وَضَوْضَاءُ ٱلْوَغَى صَعَقَاتُ

وَتَبَعْثَرَتْ فَوْقَ ٱلْوِهَادِ فَرَائِسٌ
عَلِقَتْ عَلَيْهَا أَنْسُرٌ وَبُزَاةُ

فَٱلْأُسْدُ تُولِمُ وَٱلْجَوَارِحُ تَغْتَذِي
وَٱلْأَرْضُ تَحْيَا وَٱلْوَرَى أَمْوَاتُ

وَٱلْجَهْلُ يَسْخَرُ وَٱلصَّوَابُ مُهَيْنَمٌ
وَٱلْجُنْدُ تَسْهَرُ وَٱلْمُلُوكُ غُفَاةُ
وَٱلْعَقْلُ يَبْكِي وَٱلطَّبِيعَةُ ثَاكِلٌ
وَٱلدَّهْرُ يَضْحَكُ وَٱلرَّدَى شَمَّاتُ
سُبْحَانَ مَنْ تَخِذَ ٱلْعَوَالِمَ مُصْحَفًا
فِيهِ لِكُلِّ غَرِيبَةٍ آيَاتُ

(سليم عنحوري)

﴿ ٥٤ — ٱلتَّاجُ مَحَلْ ﴾

جَحْفَلٌ ٱلصَّارِمُ ٱلْأَقْيَالُ عَاهِلُ
جَدَثٌ بَاسِقٌ رِتَاجٌ طَاقُ
عَرْفٌ دِحَالٌ مَسْلُوفَةٌ ٱلرَّائِدُ
رَذَاذٌ مَشَاكٍ تَتَوَهَّجُ ٱلْمُشَاكَلَةُ مَقْصُورَةٌ

قُرْبَ بَدَاءَةِ ٱلْقَرْنِ ٱلسَّابِعَ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ أَغَارَ جَحْفَلٌ مِنْ مُسْلِمِي ٱلْمُغُولِ عَلَى ٱلشَّمَالِ ٱلشَّرْقِيِّ لِلْهِنْدِ

وَافْتَتَحُوهُ عُنْوَةً بِحَدِّ الصَّارِمِ الْبَتَّارِ ثُمَّ امْتَدَّ سُلْطَانُهُمْ عَلَى سَائِرِ الْبِلَادِ الْهِنْدِيَّةِ الْعُلْيَا وَأَقَامُوا الْوَزْنَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْقِسْطِ فَغَزَوُا النُّفُوسَ بِعَدَالَتِهِمْ كَمَا انْفَتَحَتْ لِقُوَّتِهِمُ الْحُصُونُ وَالْقِلَاعُ وَتَسَابَقَ الْأَقْيَالُ وَالْأُمَرَاءُ يَخْضَعُونَ لِسُلْطَانِ الْحَقِّ الَّذِي مَدَّ ظِلَّهُ الْوَارِفَ أَكْبَرْخَانُ حَتَّى أَضْحَى عَاهِلَ الْبِلَادِ الْهِنْدِيَّةِ بِأَسْرِهَا

وَلَقَدِ اشْتَهَرَ جَيْهَانُ شَاهُ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْعَوَاهِلِ بِشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِعَقِيلَتِهِ الَّتِي قَضَتْ نَحْبَهَا وَهِيَ فِي نُضْرَةِ الشَّبَابِ سَنَةَ ١٣٦١ فَبَلَغَ مِنْهُ الْأَسَى مَبْلَغًا اسْتَنْفَدَ الصَّبْرَ وَعَزَّ عَلَيْهِ السُّلْوَانُ وَقَضَى حَيَاتَهُ وَصَرَفَ هِمَّتَهُ فِي تَمْجِيدِ اسْمِهَا وَتَخْلِيدِ ذِكْرِهَا فَرَفَعَ عَلَى جَدَثِهَا الْهَامِدِ مَقْبُرَةً تُزْرِي بِبَاسِقِ الْقُصُورِ وَأَرْسَلَ وُفُودَهُ تَجُوبُ الْآفَاقَ فِي طَلَبِ أَبْرَعِ الصُّنَّاعِ حَتَّى جَمَعَ لَدَيْهِ عِشْرِينَ أَلْفَ صَانِعٍ اشْتَغَلُوا اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَنْفَقَ فِي

تَشْيِيدِهَا مَا يُنِيفُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَلَايِينَ مِنَ ٱلْجُنَيْهَاتِ

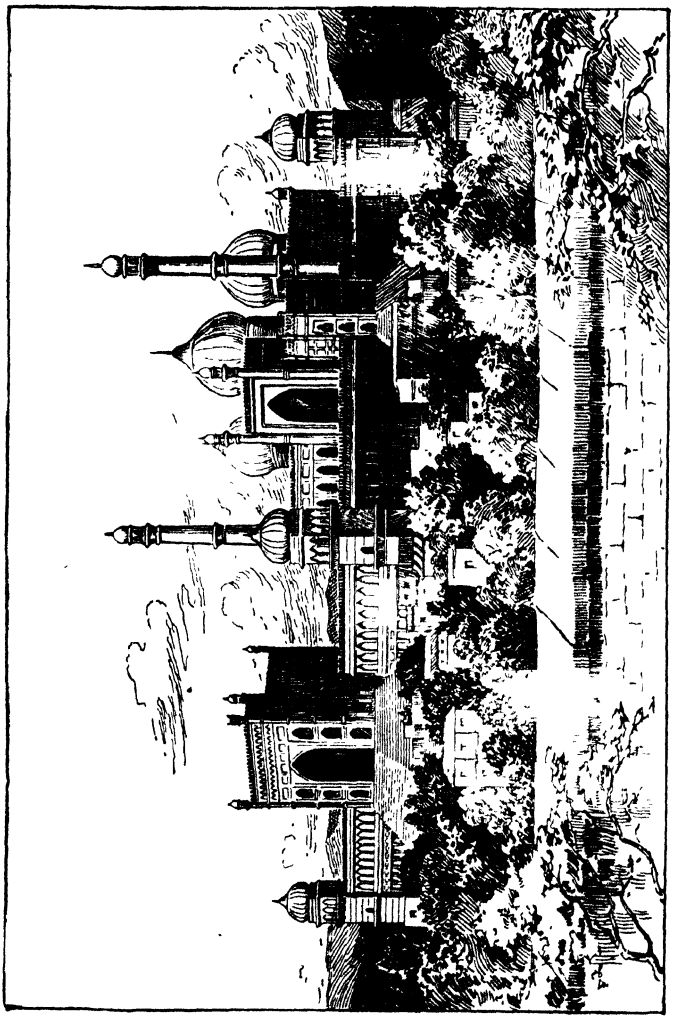

يُدْخَلُ إِلَى هَذِهِ ٱلْمَقْبَرَةِ بَلْ هَذَا ٱلْقَصْرِ مِنْ رِتَاجٍ ضَخْمٍ شَامِخِ ٱلْبُنْيَانِ مِنَ ٱلْحَجَرِ ٱلْأَحْمَرِ ٱلْمُرَصَّعِ بِٱلرُّخَامِ ٱلْأَبْيَضِ وَٱلْأَسْوَدِ وَفِي وَسَطِهِ طَاقٌ مَعْقُودٌ يَزِيدُهُ فَخَامَةً وَرُوَاءً وَفِي دَاخِلِ سُورِهِ ٱلْعَالِي ٱلْبِنَاءِ بُسْتَانٌ فَسِيحُ ٱلْأَرْجَاءِ قَدْ زَانَتْهُ ٱلْأَزْهَارُ وَٱلرَّيَاحِينُ بِبَاهِرِ أَلْوَانِهَا وَعَطَّرَتْهُ بِعَبِيقِ عَرْفِهَا وَتَبْلُغُ دِحَالُهُ ٱلشَّاهِقَةُ إِلَى عَنَانِ ٱلسَّمَاءِ وَأَفْنَانُهَا مُتَشَبِّكَةٌ مُتَعَانِقَةٌ كَأَنَّهَا رَمْزٌ لِذَلِكَ ٱلْحُبِّ ٱلطَّاهِرِ وَٱلْوَفَاءِ ٱلصَّمِيمِ وَهِيَ مَنْظُومَةٌ فِي صَفَّيْنِ عَلَى جَانِبَيْ طَرِيقٍ مَسْلُوفَةٍ وَأَمَامَهَا عِقْدُ فَوَّارَاتٍ تَسْتَرْعِي ٱلرَّائِدَ بِخَرِيرِهَا وَتُنَدِّيهِ بِرَذَاذِهَا وَٱلْبَبْغَاوَاتُ ٱلْخَضْرَاءُ تُمَازِجُهُ وَتُؤَانِسُهُ بِحَدِيثِهَا حَتَّى يَبْلُغَ ٱلْحَائِطَ ٱلدَّاخِلِيَّ وَهُوَ مَنْقُوشٌ بِصُوَرِ أَزْهَارٍ قَدْ طُعِّمَتْ بِٱلْمَرْمَرِ ٱلنَّاصِعِ وَفِيهِ مَشَاكٍ تَبْنِي فِيهَا ٱلْبَبْغَاوَاتُ عُشَّهَا وَفَوْقَ هَذَا ٱلْحَائِطِ قَدْ فُرِشَ رَصِيفٌ مِنَ ٱلرُّخَامِ يُصْعَدُ إِلَيْهِ فِي سُلَّمٍ مِنَ

ٱلْمَرْمَرِ وَفِي طَرَفَيِ ٱلرَّصِيفِ مَسْجِدَانِ شَاهِقَانِ مِنَ ٱلْحَجَرِ ٱلْأَحْمَرِ ٱلْمُرَصَّعِ بِٱلرُّخَامِ ٱلْأَبْيَضِ وَٱلْأَسْوَدِ لِكُلٍّ مِنْهُمَا ثَلَاثُ قِبَابٍ مِنَ ٱلْمَرْمَرِ تَتَوَهَّجُ فِي ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ كَأَنَّهَا قَنَادِيلُ عَظِيمَةٌ مُضِيئَةٌ إِلَّا أَنَّ أَحَدَ ٱلْمَسْجِدَيْنِ لَيْسَ مُسْتَعْمَلًا لِٱنْحِرَافِهِ عَنِ ٱلْقِبْلَةِ وَبُنِيَ عَلَى سَبِيلِ ٱلْمُشَاكَلَةِ فَقَطْ

وَفِي وَسَطِ هَذَا ٱلرَّصِيفِ رَصِيفٌ ثَانٍ أَعْلَى مِنْهُ قَدْ أُقِيمَتْ أَرْبَعُ مِئْذَنَاتٍ عَلَى أَرْكَانِهِ ٱلْأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِهِ قُبَّةٌ بَاسِقَةٌ وَاسِعَةٌ تُحِيطُ بِهَا أَرْبَعُ قِبَابٍ صَغِيرَةٍ وَبَابُهُ طَاقٌ عَالٍ مَنْقُوشٌ بِضُرُوبِ ٱلزُّخْرُفِ وَفُنُونِ ٱلْحِلْيَةِ وَأَرْضُ ٱلْقُبَّةِ مِنَ ٱلْفُسَيْفِسَاءِ ٱلْمَنْقُوشَةِ بِأَشْكَالٍ عَرَبِيَّةٍ وَعَلَى جُدُرِهَا آيَاتٌ مِنَ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ مَكْتُوبَةٌ بِٱلذَّهَبِ ٱلْإِبْرِيزِ وَفِي وَسَطِ أَرْضِ ٱلْقُبَّةِ مَقْصُورَةٌ فِيهَا ٱلتَّابُوتُ تَحُفُّهُ ٱلْمَهَابَةُ وَٱلْكَرَامَةُ ٱللَّتَانِ نَسَجَتْهُمَا يَدُ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْوَفَاءِ

﴿ ٥٥ — مِنفَاخُ ٱلجِسْمِ ﴾

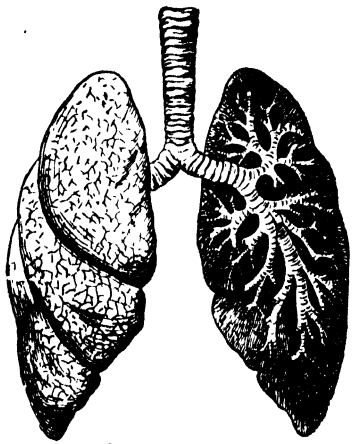

شَهِيقٌ زَفِيرٌ

آوِنَةٌ يَنْبِضُ

مُعْتَرِضَةٌ شُعَبٌ

كَدِرٌ إِضْرَامٌ

أَدْرَانٌ تُضْنِي

يَنْبَسِطُ ٱلصَّدْرُ وَيَنْقَبِضُ أَمَامَ عَيْنِ ٱلرَّائِي مِنَ ٱلتَّنَفُّسِ شَهِيقِهِ وَزَفِيرِهِ كَمَا يَنْبَسِطُ ٱلمِنْفَاخُ وَيَنْقَبِضُ فَيَمْتَلِئُ آوِنَةً مِنَ ٱلْهَوَاءِ ٱلدَّاخِلِ فِيهِ وَيَخْلُو أُخْرَى بِخُرُوجِهِ مِنْهُ وَتَسْتَمِرُّ وَتَتَوَاصَلُ هَاتَانِ ٱلْحَرَكَتَانِ مَادَامَ فِي ٱلْإِنْسَانِ عِرْقٌ يَنْبِضُ

وَلَيْسَ ٱلمِنْفَاخُ فِي هَيْئَتِهِ إِلَّا مُمَثِّلًا مَا فِي ٱلجِسْمِ مِنَ ٱلْأَعْضَاءِ ٱلْمَخْلُوقَةِ لِلتَّنَفُّسِ فَإِنَّ فَمَهُ وَأُنْبُوبَتَهُ يُمَثِّلَانِ

لِلْأَنْفِ وَقَصَبَةَ النَّفَسِ الظَّاهِرَةَ فِي الْعُنُقِ وَجِسْمَهُ يُشَابِهُ الرِّئَتَيْنِ الْمَنْصُوبَتَيْنِ فِي وَسَطِ الصَّدْرِ الَّذِي هُوَ عُلْبَةٌ مِنْ قُضْبَانٍ مِنَ الْعِظَامِ اسْمُهَا الضُّلُوعُ بَيْنَهَا عَضَلَاتٌ مَتِينَةٌ مُعْتَرِضَةٌ هِيَ آلَةُ ذَلِكَ الِانْبِسَاطِ وَالِانْقِبَاضِ وَتَتَفَرَّعُ قَصَبَةُ النَّفَسِ فِي وَسَطِ الصَّدْرِ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى فَرْعَيْنِ يَخْرُجُ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا شُعَبٌ وَأَنَابِيبُ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ وَهِيَ مَحُوطَةٌ بِكِيسَيْنِ مِنْ غِشَاءٍ فِي جَانِبَيِ الصَّدْرِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً هُمَا الرِّئَتَانِ وَفِي خِلَالِ هَذِهِ الْأَنَابِيبِ تَدْخُلُ الْعُرُوقُ الدَّقِيقَةُ بَعْضُهَا يَحْمِلُ دَمًا كَدِرًا يَمْتَزِجُ بِالْهَوَاءِ فَيَخْلُصُ مِمَّا عَرَاهُ مِنْ دَوَاعِي الْفَسَادِ وَيَعُودُ فِي عُرُوقٍ أُخَرَ أَحْمَرَ صَافِيَ الْحُمْرَةِ فَيَنْزِلُ فِي الْقَلْبِ لِيُوَزِّعَهُ عَلَى الْجِسْمِ وَكُلَّمَا كَثُرَ الْهَوَاءُ الدَّاخِلُ بِاسْتِطَالَةِ النَّفَسِ كَانَ الدَّمُ أَكْثَرَ صَفَاءً وَصِحَّةً وَلَا يَسْتَغْرِبَنَّ أَحَدٌ مِنْ أَنَّ فِي الْجِسْمِ آلَةً كَالْمِنْفَاخِ فِي هَيْئَتِهِ فَإِنَّ هَذِهِ الْآلَةَ

تَعْمَلُ فِيهِ مَا يَعْمَلُ ٱلْمِنْفَاخُ فِي إِضْرَامِ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي تُحْرِقُ ٱلْوَقُودَ وَتَحْتَاجُ لِذَلِكَ إِلَى ٱلْهَوَاءِ وَلَوْلَا هَذَا ٱلضِّرَامُ فِي سَائِرِ ٱلْبَدَنِ لَعَدِمَ حَرَارَتَهُ وَلَأَصْبَحَ جُثَّةً بَارِدَةً هَامِدَةً

وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ فِي ٱلْأَنْفِ عُدَّةً تُدَفِّئُ ٱلْهَوَاءَ وَتُنَقِّيهِ مِمَّا يَشُوبُهُ مِنَ ٱلْغُبَارِ وَٱلْأَدْرَانِ حَتَّى يَدْخُلَ ٱلرِّئَتَيْنِ خَالِصًا سَلِيمًا يَجْنِي مِنْهُ ٱلدَّمُ وَٱلْجِسْمُ ٱلْخَيْرَ ٱلْجَزِيلَ وَلِذَلِكَ كَانَ فِي ٱلتَّنَفُّسِ بِٱلْفَمِ مَضَرَّةٌ تُسْقِمُ ٱلْجِسْمَ وَتُضْنِيهِ فَحَذَارِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْخَطَرِ ٱلْعَظِيمِ

﴿ ٥٦ — جَنَادِلُ نَيْكَرَا ﴾

جَعْفَرٌ	يَتَعَرَّجُ	صَلَادَةٌ	ٱلْجَنَادِلُ
يُرْعِي	يُزْبِدُ	ٱلطَّامَّةُ	تِلْقَاءَ
ٱلرَّائِعُ	رَشَاشٌ	ٱلصَّيِّبُ	ٱلْمِدْرَارُ
ٱلْمِرْجَلُ	بَاسِقَةٌ	ٱلْكَنُودُ	حُطَامٌ

يَجْرِي فِي أَوَاسِطِ أَمْرِيقَا ٱلشَّمَالِيَّةِ جَعْفَرٌ عَظِيمٌ

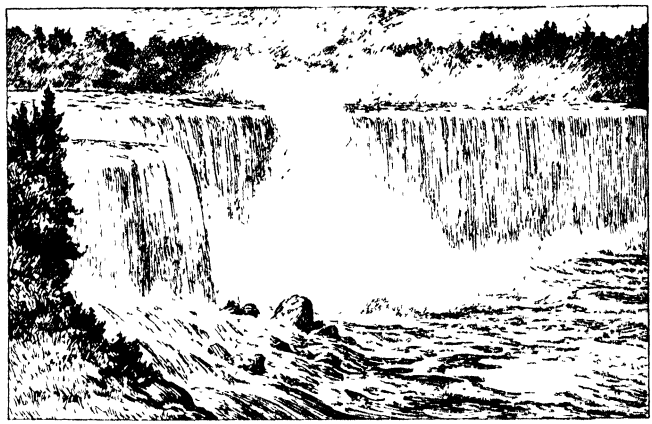

السَّعَةِ يَتَعَرَّجُ فِي سَبِيلِهِ وَيَنْحَنِي وَيَنْثَنِي مُتَخَيِّراً سَهْلَ الْبِقَاعِ فَيَتَدَفَّقُ فِيهَا وَيَشُقُّ نَهْرَهُ يُوَسِّعُهُ وَيُضَيِّقُهُ عَلَى قَدْرِ الْمُقَاوَمَةِ الَّتِي يَلْقَاهَا بَيْنَ صَلَابَةِ الْأَرْضِ وَرَخَاوَتِهَا وَصَلَادَةِ الصُّخُورِ وَلِينِهَا ثُمَّ يَنْتَفِخُ إِلَى بُحَيْرَاتٍ خَمْسٍ أُولَاهَا عَلَى هَضْبَةٍ شَاهِقَةٍ يَنْهَارُ مَاؤُهَا عَلَى مَا بَعْدَهَا خِلَالَ الصُّخُورِ وَالْجَنَادِلِ فَيَدْوِي وَيُرْغِي وَيُزْبِدُ حَتَّى يَبْلُغَ الْبُحَيْرَةَ الرَّابِعَةَ وَهِيَ أَيْرَى وَهُنَاكَ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى إِذْ يَهْوِي الْمَاءُ هُوِيًّا رَأْسِيًّا مَسَافَةَ ثَلَثِمِائَةِ قَدَمٍ بَيْنَ الْحَجَرِ

**** ***

ٱلْجَلْمُودِ وَهُوَ يَتَدَافَعُ وَيَتَخَبَّطُ وَيَتَرَامَى حَتَّى يَصِلَ إِلَى أُنْتَرْيُو خَامِسَةِ ٱلْبُحَيْرَاتِ

وَإِنَّ ٱلشَّاهِدَ لَيَدْهَشُ تِلْقَاءَ ذَلِكَ ٱلْمَنْظَرِ ٱلرَّائِعِ إِذْ يَرَى ٱلْمِيَاهَ فِي فَرٍّ وَكَرٍّ وَكِفَاحٍ وَنِزَالٍ وَصِرَاعٍ وَرَشَاشُهَا يَتَصَاعَدُ فِي ٱلْجَوِّ فَيُلَاطِمُ كَبِدَ ٱلسَّمَاءِ وَيَهْوِي ثَانِيَةً كَأَنَّهُ ٱلصَّيِّبُ ٱلْمِدْرَارُ وَٱلزَّبَدُ يَتَلَاقَى وَيَتَجَمَّعُ فَيُكَوِّنُ رُكَامًا أَبْيَضَ وَأَشِعَّةُ ٱلشَّمْسِ تَخْتَلِطُ بِهَذَا ٱلْمِرْجَلِ ٱلْفَائِرِ ٱلثَّائِرِ فَتَنْحَلُّ أَلْوَانًا مُتَبَايِنَةً مُتَعَدِّدَةً تَكَادُ تَبْلُغُ مَبْلَغَ ٱلسِّحْرِ فِي تَأْثِيرِهَا فِي ٱلنُّفُوسِ وَأَخْذِهَا بِمَجَامِعِ ٱلْقُلُوبِ وَتَخْتَرِقُ هَذِهِ ٱلْجَنَادِلَ مِنْ وَسَطِهَا جَزِيرَةٌ خَضْرَاءُ بَاسِقَةُ ٱلْأَشْجَارِ تَقْسِمُهَا إِلَى جَنْدَلَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي كَنَدَا وَٱلثَّانِي فِي ٱلْوِلَايَاتِ ٱلْمُتَّحِدَةِ وَيَتَعَذَّرُ عَلَى ٱلسُّفُنِ مَهْمَا بَلَغَتْ مِنْ مَتَانَةِ ٱلصُّنْعِ أَنْ تَقْتَحِمَ هَذِهِ ٱلْعَقَبَةَ ٱلْكَئُودَ بَلْ تُصْبِحُ حُطَامًا فِي أَقَلَّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ

وَلَكِنْ رَغْمَ الْعِلْمِ الْجَازِمِ بِهٰذِهِ النَّتِيجَةِ الْفَظِيعَةِ لَمْ تَخْلُ الْأَرْضُ مِنْ مُغْتَسِفِينَ اقْتَحَمُوا تِلْكَ الْعَقَبَةَ الْفَاتِكَةَ يُحَاوِلُونَ اجْتِيَازَهَا فَمَا قَضَوْا مِنْهَا وَطَرَهُمْ بَلْ قَضَتْ عَلَى حَيَاتِهِمْ بِمَا كَانُوا يُخَاطِرُونَ

﴿ ٥٧ — مَنْظَرُ بُسْتَانٍ ﴾

أَرِيجٌ	اَلضَّوَاحِي	تَسْجَعُ	تُطَرِّبُ
وَفْرَةٌ	تَسْتَفِزُّ	اِسْتِيعَابٌ	مَوَّهَ
يَطَأُ	لَأْلَاءٌ	اَلْحَصْبَاءُ	أَفْنَانٌ
أَدِيمٌ	كَاسِفٌ	تِيهٌ	

لَمْ أَرَ فِي الْحَيَاةِ مَنْظَرًا أَبْهَى وَأَجْمَلَ مِنْ حَدِيقَةٍ غَنَّاءَ يَتَرَاوَحُ فِيهَا الْغُصْنُ عَلَى الْغُصْنِ وَيَمِيلُ وَتَنْتَشِرُ الرَّوَائِحُ الزَّكِيَّةُ مِنْ أَزْهَارِهَا الْبَهِيَّةِ فَتَحْمِلُهَا الرِّيحُ عَلَى أَجْنِحَتِهَا الْخَفِيَّةِ وَتُعَطِّرُ بِأَرِيجِهَا الْهَوَاءَ الْعَلِيلَ وَتَضُمُّ فِي ضَوَاحِيهَا آيَاتِ الْجَمَالِ فَتَقَرُّ بِهَا الْعُيُونُ وَتَسْتَقِرُّ لِمَا يَجْتَذِبُهَا مِنْ زَاهِي اللَّوْنِ وَبَدِيعِ التَّنْسِيقِ وَتَسْجَعُ الْبَلَابِلُ وَتُطَرِّبُ الْأَطْيَارُ وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى الْأَغْصَانِ مُتَوَارِيَةٌ عَنِ الْعِيَانِ فِي خِلَالِ الْأَوْرَاقِ فَتَهْتَزُّ لِسَمَاعِهَا الْقُلُوبُ وَتُشَنِّفُ الْآذَانُ وَتَتَدَلَّى الْفَوَاكِهُ وَالْأَثْمَارُ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَوَفْرَةِ ضُرُوبِهَا وَتَتَدَانَى مِنْ أَيْدِي الْقَاطِفِينَ كَأَنَّهَا تَسْتَفِزُّهُمْ إِلَى اسْتِيعَابِهَا بِالْأَيْدِي كَمَا مَتَّعُوا مِنْهَا الْأَنْظَارَ وَالْمَاءُ يَجْرِي فِي شُقُوقِهِ وَجَدَاوِلِهِ كَأَنَّهُ أَسْلَاكٌ صِيغَتْ مِنْ صَافِي اللُّجَيْنِ إِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ مَوَّهَتْهُ بِالذَّهَبِ فَيُمَثِّلُ الْجَوْهَرَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ فِي صَفَائِهِ وَلَأْلَائِهِ

يَطَأُ السَّائِرُ فِي هَذَا الْبُسْتَانِ طَرِيقاً مَرْصُوفَةً بِالْحَصْبَاءِ مَحْفُوفَةً مِنْ جَانِبَيْهَا بِأَشْجَارٍ اشْتَبَكَتْ أَفْنَانُهَا كَأَنَّهَا الْقِبَابُ الْمَضْرُوبَةُ وَضَوْءُ الشَّمْسِ يَسْتَرِقُ فُرْجَةً بَيْنَ الْأَوْرَاقِ يَتَدَلَّى مِنْهَا إِلَى الثَّرَى لِيُقَبِّلَهُ فَتَضِنُّ عَلَيْهِ الْأَوْرَاقُ وَتَقْطَعُ السَّبِيلَ فَيَسْلُكُ طَرِيقاً أُخْرَى تُوَصِّلُهُ إِلَى الْأَدِيمِ فَتَسُدُّ عَلَيْهِ هَذِهِ أَيْضاً فَيَكْشِفُ غَيْرَهَا فَيَنْزِلُ مِنْهَا وَهَكَذَا تَبْقَى الْأَشِعَّةُ فِي غُدُوٍّ وَرَوَاحٍ وَالْوَرَقُ يُطَارِدُهَا وَيُمَانِعُهَا حَتَّى يَحْمَرَّ وَجْهُ السَّمَاءِ بِاقْتِرَابِ الْغُرُوبِ فَيَرْتَدَّ ضَوْءُ الشَّمْسِ كَاسِفاً مَحْزُوناً وَيَبْقَى الْوَرَقُ يَتَلَاعَبُ زَهْواً وَتِيهاً بِانْتِصَارِهِ وَظَفَرِهِ

﴿ ٥٨ — حُكُومَةُ الْجِسْمِ ﴾

الْقِسْطُ	مُتَنَافِرَةٌ	مُتَكَاتِفَةٌ	مُتَعَامِدَةٌ
يَصْدَعُ	تَصْرِيفٌ	يَدَيْ	الزِّمَامُ
مَأْزِقٌ	الزَّلَلُ	يُضْرِمُ	تَتَحَفَّزُ

كُلَّمَا ٱسْتَقَرَّ قَوْمٌ مِنَ النَّاسِ فِي مَكَانٍ مُجْتَمِعِينَ قَامَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يَتَوَلَّوْنَ أُمُورَهُمْ وَتَأْمِينَ أَنْفُسِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَيَقُومُونَ عَلَيْهِمْ بِٱلْقِسْطِ فِي مُخَاصَمَاتِهِمْ لِيُؤَلِّفُوا بَيْنَ قُلُوبٍ كَانَتْ شَتَّى مُتَنَافِرَةً فَأَصْبَحَتْ بِقُوَّةِ ٱلْعَدْلِ وَالسَّهَرِ عَلَيْهَا مُتَكَاتِفَةً مُتَعَامِدَةً كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

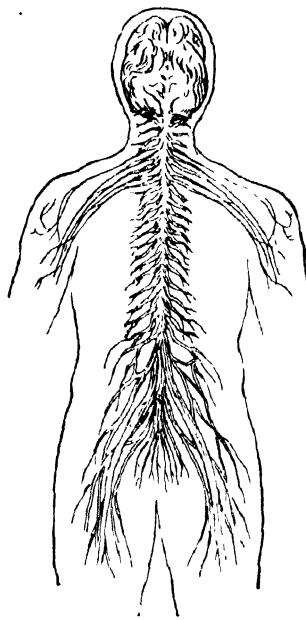

وَلَا بُدَّ لِهَذِهِ ٱلْحُكُومَةِ مِنْ رَأْسٍ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ وَأَعْضَاءٍ مُتَنَوِّعَةٍ يَخْتَصُّ كُلٌّ مِنْهَا بِعَمَلٍ مُفْرَدٍ يَقُومُ بِتَنْفِيذِهِ مُسْتَمِدًّا سُلْطَانَهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّأْسِ يُبْلِغُهُ ٱلْحَوَادِثَ عِنْدَ وُقُوعِهَا وَيَصْدَعُ بِأَمْرِهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَمِنَ ٱلْأَعْضَاءِ مَا قَدْ شُرِعَ لَهُ شَرْعٌ يَتَّبِعُهُ فِي أَعْمَالِهِ فَيَعْمَلُ

وَلَا يَنِي حُرًّا مُسْتَقِلًا مَالَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ ٱلْخَلَلُ فَيَقِفَ عَنِ ٱلْعَمَلِ حَتَّى يُصْلَحَ مِنْهُ مَافَسَدَ وَمَا ٱلْجِسْمُ ٱلْبَشَرِيُّ إِلَّا حُكُومَةٌ أَحْكَمَ نَظْمَهَا ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ فَوَلَّى عَلَيْهَا ٱلرَّأْسَ بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِهِ وَأَوْدَعَ فِيهِ ٱلْعَقْلَ وَمَلَّكَهُ ٱلزِّمَامَ ثُمَّ جَعَلَ فِي ٱلْجِسْمِ عَضَلَاتٍ عَامِلَاتٍ بِأَمْرِهِ وَأُخَرَ مُسْتَقِلَّاتٍ عَنْ إِرَادَتِهِ عَامِلَاتٍ عَلَى نِظَامٍ ثَابِتٍ لَا تَفْتَرُّ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَا دَامَتْ بَعِيدَةً عَنْ مَآزِقِ ٱلزَّلَلِ وَٱلسَّرَفِ وَإِلَّا ٱعْتَرَاهَا فَسَادٌ قَدْ يَصْرِمُ حَبْلَ ٱلْحَيَاةِ مَالَمْ يَتَوَلَّهَا ٱلْإِنْسَانُ بِٱلرِّيَاضَةِ وَٱلْعِلَاجِ وَتِلْكَ ٱلْأَعْضَاءُ ٱلْمُسْتَقِلَّةُ هِيَ أَجْهِزَةُ ٱلدَّمِ وَٱلتَّنَفُّسِ وَٱلْهَضْمِ وَسَائِرُ ٱلْأَحْشَاءِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلرَّأْسِ أَسْلَاكٌ تِلِغْرَافِيَّةٌ مِنَ ٱلْأَعْصَابِ تَحْمِلُ إِلَيْهِ خَبَرَ مَايُؤْلِمُهَا أَوْ يُصِيبُهَا مِنَ ٱلْآفَاتِ لِكَيْمَا يَصْرِفُ عَنْهَا ٱلْأَذَى بِعَقْلِهِ وَحِكْمَتِهِ

وَبَقِيَّةُ ٱلْأَعْضَاءِ تَعْمَلُ بِإِرَادَةِ ٱلرَّأْسِ وَأَمْرِهِ فَإِذَا

شاء الإنسان المشي أصدر الرأس أمراً إلى الرجلين فتحملهُ أعصابُ الحركةِ بسُرعةِ البرقِ أو أشدَّ سُرعةً فتتحفزان للحركةِ وتسيران بالجسمِ طائعتين وإذا أصابَ اليدَ أو عضواً غيرها ألمٌ أرسلت شكواها خلالَ الأعصابِ فيأمرُ الرأسُ بانسحابها إلى مأمنٍ أو إقدامها لكفِّ الأذى أو التنكيلِ بالمعتدي جزاءَ اعتدائهِ « فسبحانَ الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقهُ ثمَّ هدى »

﴿ ٥٩ — أهلُ لا بلندَ ﴾

جيلٌ	جرداءُ	آجامٌ	زرابٌ
تيتلٌ	حمولةٌ	يحتذي	البشرةُ
وجناتٌ	زرافاتٌ	ينتجعُ	قارسٌ
كوةٌ	قتارٌ	متقبضٌ	ضنَّ
الجندُ	مرديٌ		

يَعيشُ جِيلٌ مِنَ النَّاسِ فِي شَمَالِ السُّوَيْدِ وَرُوسِيَا بِلَادُهُمْ جَرْدَاءُ قَاحِلَةٌ مَا خَلَا بِضْعَ أَجَامٍ مُنْتَثِرَةٍ يَتَّخِذُونَ مِنْ غُصُونِهَا وَجُذُوعِهَا زِرَابًا يَسْكُنُونَهَا أَيَّامَ شِتَائِهِمُ الطَّوِيلِ وَلَا يُؤَانِسُهُمْ فِي وَحْشَتِهِمْ إِلَّا كِلَابُهُمْ وَشِبْهُ ثَيْتَلٍ كَبِيرُ الْجُثَّةِ يَسْتَخْدِمُونَهُ حَمُولَةً لَهُمْ وَيَغْتَذُونَ بِلَحْمِهِ وَلَبَنِهِ وَيَحْتَذُونَ بِجِلْدِهِ وَيُشَارِكُهُمْ فِي تَمَلُّكِ هَذِهِ الْقِفَارِ الدِّبَبَةُ وَالذِّئَابُ الثَّلْجِيَّةُ وَغَيْرُهَا مِنْ صُنُوفِ حَيَوَانِ الْفِرَاءِ

وَهَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ قِصَارُ ٱلْقَامَةِ ثِقَالُ ٱلْجِسْمِ سُمْرُ ٱلْبَشَرَةِ وَجَنَاتُهُمْ بَارِزَةٌ وَعُيُونُهُمْ مُسْتَطِيلَةٌ ضَيِّقَةٌ وَأَفْوَاهُهُمْ وَاسِعَةٌ بِشِفَاهٍ دَقِيقَةٍ وَأُنُوفُهُمْ قَصِيرَةٌ غَلِيظَةٌ فَكَأَنَّهُمْ جَمَعُوا كُلَّ أَوْصَافِ ٱلدَّمَامَةِ فِي ٱلْخِلْقَةِ

وَيَعِيشُونَ قَبَائِلَ وَزُرَافَاتٍ وَيَنْتَجِعُونَ بِكِلَابِهِمْ وَقُطْعَانِهِمْ إِلَى حَيْثُ رَاقَ لَهُمُ ٱلْمَرْعَى وَكَثُرَتِ ٱلْأَسْمَاكُ فِي ٱلصَّيْفِ وَيَتَوَغَّلُونَ فِي ٱلْآجَامِ فِي ٱلشِّتَاءِ يَمْتَنِعُونَ مِنْ قَرِّ ٱلْجَوِّ وَقَارِسِ ٱلْبَرْدِ وَبُيُوتُهُمْ زِرَابٌ مِنْ غُصُونِ ٱلْأَشْجَارِ يَكْسُونَهَا بِٱلْجُلُودِ وَٱلْأَصْوَافِ وَلَا يَتَّخِذُونَ مِنَ ٱلنَّوَافِذِ إِلَّا كُوَّةً فِي سَقْفِ ٱلْبَيْتِ يَصْعَدُ مِنْهَا دُخَانُ نَارِهِمْ وَقَتَارُ طَعَامِهِمْ وَيَجْلِسُونَ وَيَنَامُونَ مُتَقَبِّضِينَ عَلَى فُرُشٍ مِنَ ٱلْجُلُودِ وَٱلْفِرَاءِ وَيَخْزُنُونَ مَا ٱدَّخَرُوهُ مِنَ ٱلْمُؤَنِ عَلَى رُفُوفٍ يَنْصِبُونَهَا بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ ضَنًّا بِهَا أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْهَا حَيَوَانَاتُ ٱلْبَرِّيَّةِ ٱلْكَاسِرَةُ وَيَلْبَسُونَ

فِي الصَّيْفِ جَلَابِيبَ وَأَقْمِصَةً مِنَ الصُّوفِ الْخَشِنِ وَفِي الشِّتَاءِ لِبَاسُهُمْ حُلَّةٌ مِنَ الْفِرَاءِ وَعَلَى رُءُوسِهِمْ شِبْهُ طَرْبُوشٍ لَهُ زِرٌّ أَحْمَرُ وَأَحْذِيَتُهُمْ مِنْ جُلُودِ الثَّيْتَلِ يُبَطِّنُونَهَا بِوَرَقِ أَشْجَارِهِمْ طَلَبًا لِلدِّفْءِ وَمَنْعًا لِلرُّطُوبَةِ وَفِي الشِّتَاءِ يَتَّخِذُونَ صِنْفًا مِنَ الْحِذَاءِ نَعْلُهُ مِنَ الْخَشَبِ الْمَصْقُولِ يَجُرُّونَ بِهِ عَلَى الْجَمْدِ وَالْجَلِيدِ بِسُرْعَةٍ لَا تُدَانِيهَا سُرْعَةُ حَيَوَانٍ وَلَهُمْ مَرْكَبَاتٌ لَا عَجَلَ لَهَا مَصْنُوعَةٌ عَلَى هَيْئَةِ سَفِينَةٍ بَارِزَةِ الْقَعْرِ مِنَ الظَّاهِرِ يَجُرُّهَا الثَّيْتَلُ بِسُرْعَةٍ تَسْبِقُ الرِّيحَ وَيُوقِفُهَا الرَّاكِبُ بِمِرْدِيٍّ يَغْرِزُهُ فِي الْأَرْضِ

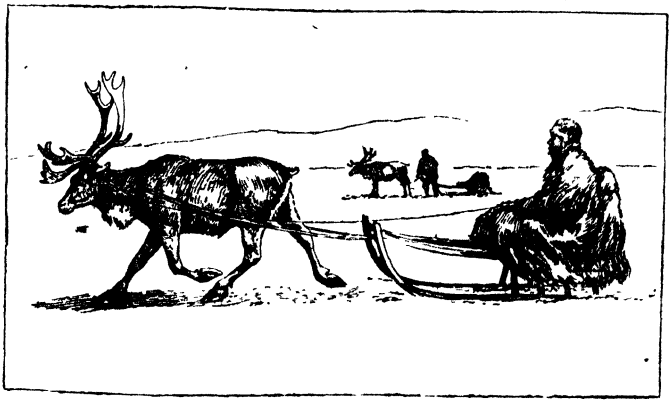

﴿ ٦٠ — ٱلْحَرِيقُ ﴾

قَرَقُوسُ	ٱلْقِتَامُ	تَسَعَّرَ	أَعْوَلَ
أَشْجَانُ	تَهْمِي	قُدَّ	يَهُولُ
ٱلْمَغَافِرُ	ٱنْبَرَى	تَفَجُّرُ	يَهْدُرُ
ٱلْهَتَّانُ	ٱنْتَشَلَ	ٱلْغَشَيَانُ	ٱلْجَنَانُ
ٱلْحَدَثَانُ			

بَلَغَ ٱلدُّخَانُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ كَأَنَّهُ

قَرَقُوسُ إِذْ هَاجَ بِٱلثَّوَرَانِ

هَرَعَ ٱلرِّجَالُ إِلَى ٱلْمَكَانِ لِيَكْشِفُوا

خَطْبًا أَصَابَ ٱلنَّاسَ بِٱلْخُسْرَانِ

رَأَوُا ٱلدُّخَانَ مَعَ ٱلْقِتَامِ تَسَعَّرَا

وَٱحْمَرَّ لَوْنُهُمَا مِنَ ٱلنِّيرَانِ

وَتَأَجَّجَتْ جُدُرٌ وَقَامَتْ صَيْحَةٌ

يَا لِلرِّجَالِ أُولِي ٱلْقُوَى ٱلشُّجْعَانِ

ظَهَرَتْ مِنَ الشُّبَّاكِ بِنْتٌ أَعْوَلَتْ
وَاسْتَنْجَدَتْ بِمُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ
وَالشَّعْرُ مَحْلُولٌ يَمُوجُ وَيَنْثَنِي
وَالْقَوْمُ فِي فَزَعٍ وَفِي أَشْجَانِ
هَجَمَتْ عَلَى تِلْكَ الصَّبِيَّةِ أُمُّهَا
لِتَضُمَّهَا فِي صَدْرِهَا الْحَنَّانِ
وَدُمُوعُهَا تَهْمِي وَإِنَّ عَوِيلَهَا
لَيُذِيبُ قَلْبًا قُدَّ مِنْ صَوَّانِ
تَجْرِي بِهَا وَتَعُودُ حَيْرَى لَا تَرَى
مِنْ مَنْفَذٍ يُنْجِيهِمَا بِأَمَانِ
أُمٌّ تُقَاسِي حُرْقَتَيْنِ يَهُولُهَا
نَارَانِ نَارُ لَظًى وَنَارُ حَنَانِ
دَوَتِ الطَّرِيقُ وَزُلْزِلَتْ أَرْكَانُهَا
وَعَلَا غُبَارٌ شَقَّهُ فَرَسَانِ

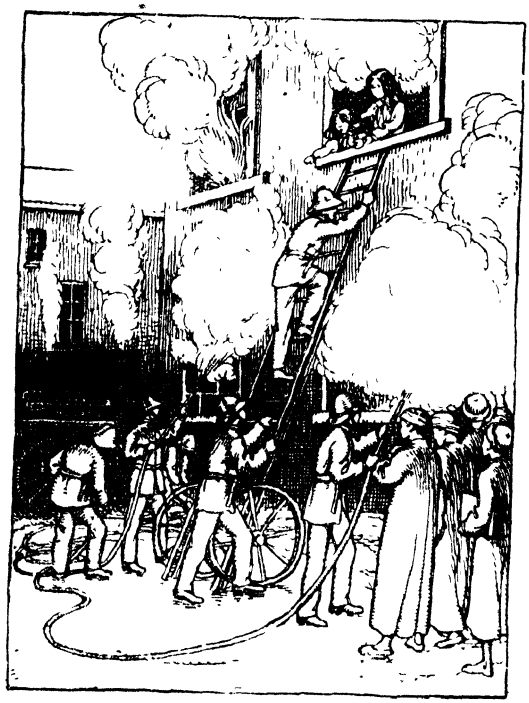

يَقفُوهُما بَرقُ ٱلمَغافِرِ لاَمِعاً

يَسرِى كَأَنَّ ٱلرَّكْبَ فِى طَيَرانِ

نَزَلَ ٱلجُنُودُ مِنَ ٱلمِضخَّةِ وَٱنبَرَوا

يَثِبُونَ نَحوَ تَفَجُّرِ ٱلبُرْكانِ

نَصَبُوا مَرَاقِيَهُمْ لِإِنْقَاذِ الْأُلَى
وَقَعُوا أُسَارَى النَّارِ وَالْجُذْرَانِ
وَالْمَاءُ يَهْدُرُ صَاعِداً مُتَدَفِّقاً
يَرْمِي الْجَحِيمَ بِصَيِّبٍ هَتَّانِ
صَعِدَ الْعَسَاكِرُ وَاللَّهِيبُ يَحُفُّهُمْ
وَالْأُمُّ تُومِئُ نَحْوَهُمْ بِبَنَانِ
دَخَلُوا مِنَ الشُّبَّاكِ وَانْتَشَلُوهُمَا
مِنْ بَعْدِ مَاوَهَتَا مِنَ الْغَشَيَانِ
هَتَفَ الشُّهُودُ لِمَارَأَوْا مِنْ فِعْلِهِمْ
مُولِي السُّرُورِ وَمُذْهِبِ الْأَحْزَانِ
وَتَسَارَعُوا بِمُنَبِّهَاتٍ أَنْعَشَتْ
لَهُمَا الْجَنَانَ فَقَامَتَا بِجَنَانِ
وَالْأُمُّ تَشْكُرُ بِاللِّسَانِ وَبِنْتُهَا
فِي حِضْنِهَا أَمِنَتْ مِنَ الْحَدَثَانِ

﴿ معانى الألفاظ الصعبة ﴾

ملاحظة — الألفاظ العامية مكتوبة بين قوسين

الصفحة :	الكلمة	المعنى
٢٥	عِرْنِينٌ	عظم الأنف بين الحاجبين
٢٧	غُضْرُوفٌ	عظم لين يكسو أطراف العظام
٣٨	اَلدِّبْسُ	عسل التمر
٤٠	اَلفُسَيْفِسَاءُ	بلاط مصبوغ منقوش (الأشانى)
٤٠	شَمَسَاتٌ	ألواح
٤٩	اَلْمَطَاطُ	مادة مرنة (السنك)
٥٧	بَنِيقَةٌ	جزء القميص حول العنق (ياقة)
٥٧	رُدْنٌ	طرف كم القميص (اسورة)
٥٧	اَلرَّيْطَةُ	ثوب سخيف جدا (الشاش)
٦٥	مُؤَامَرَةٌ	المشاورة (عرض الأوراق)
٦٩	لَوْلَبٌ	آلة تنبض (زنبلك)

الصفحة :	الكلمة	المعنى
٧٦	اَلصَّنَجُ	حديدة مستديرة يضرب بها على مثلها (ساجات)
٨٩	زِمِكٌ	مؤخر الحيوان
٩٢	إِطَارٌ	مايحيط بالشئ (براوز)
٩٢	اَلْكَاغَدُ	الورق
٩٢	اَلدُّوَّامَةُ	كل شئ يدور حول قطب (رفاس)
٩٢	اَلسُّكَّانُ	آلة توجه سير السفينة (دفة)
١٠٥	اَلشُّرْطَةُ	الشِّحْنَةُ (البوليس)
١١٠	مَعْقُوفٌ	ملوى من الطرف
١١٦	مَهْيَمْ	ماذا تطلب (أفندم)
١٢٥	اَلْمَخَاضَةُ	جهة من النهر ماؤها قليل يخاض فيها
١٢٨	مَنَاخِسُ	جمع مِنْخس وهو آلة تنخس بها الدواب
١٢٨	عِقَابٌ	المراقى الصعبة من الجبال

**** **

الصفحة	الكلمة	المعنى
١٣٠	اَللَّازِبَةُ	الشدة والقحط
١٣٣	اَلسَّوَارِى	جمع سارية وهى الأسطوانة
١٣٣	مُهَيْنَمٌ	خفى الصوت
١٤٣	جَيْفَرٌ	نهر كبير
١٤٣	اَلْمِرْجَلُ	إناء من صُفْر يغلى فيه الماء (قزان)
١٥١	جِيلٌ	جنس
١٥١	حَمُولَةٌ	دابة الحمل
١٥١	مُتَقَبِّضٌ	متداخل بعضه فى بعض (مكعمش)
١٥١	مُرْدِىٌ	قضيب من خشب يغرز فى قعر البحر لدفع السفينة (مدرى)
١٥٥	قَرْقُوسٌ	بركان
١٥٥	اَلْقَتَامُ	سواد يتصاعد من الاحتراق (هباب)
١٥٥	اَلْمَغَافِرُ	جمع مِغْفَر وهو طاس يلبس فى الرأس عند الحرب

تقريظ الكتاب

هذا ماتفضل به حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف سابقا

تلوت هذا الكتاب أجزاءه الأربعة تأليف ولدينا الجهبذين على عمر بك وعبد الفتاح صبرى بك المتأثلين بالسودد العادىّ (القديم) غير الأقزم

فألفيته على حداثة طريقته ووضوح محجّته أنجع وسيلة لتناول النشء جَنَى موضوعه وما كل حديث يعاب

ولست أعجب لسلاسة عباراته وتوخّى مؤلفيه فى أساليبه مناسبة طلاّبه ومايشوق قارئيه إلى استيعابه فانها شنشنةٌ أعرفها من أخزم وإنما الخليق بأن يُتعجَّب منه ماتجشماه فيه من تقريب العامّية من العربية مع صحة المبنى والمعنى وما أُتيحَ لهما من ألفاظ عربية بدل العامية وضعَ

الهناء مواضع النُّقبِ ونعمت الخدمة للغة الشريفة

ثم التدرج بما يناسب سن الطلبة وسنيهم بحيث لا ينتهون من السنة الرابعة الا مُبَرَّزين على ذوى التجهيزيات بما انفرد به هذا الكتاب من فرائد الفوائد ما بين أخلاق وآداب ومواعظ وعلوم وكونيات علوية وسفلية الى غير ذلك مما يوافق خبرَه العيانُ وليس وراءَ العيان بيان فما أحرى مؤلفيه بجميل الثناء وجزيل الدعاء

الفقير اليه عز شأنه

حمزة فتح الله

﴿ فهرس الكتاب ﴾

الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة
٣	آيات الخالق
٥	الساعة الدقاقة عند العرب
٧	خطبة طارق قبل فتوح الاندلس
٩	السفرة الثانية من سفرات السندباد البحرى (١)
١٢	السفرة الثانية من سفرات السندباد البحرى (٢)
١٥	السفرة الثانية من سفرات السندباد البحرى (٣)
١٨	الهواء
٢٠	دولة المماليك فى مصر
٢٢	فى طلب المعالى وعزة النفس
٢٥	أجسامنا (١)
٢٧	أجسامنا (٢)
٣٠	التاريخ (١)
٣٢	التاريخ (٢)
٣٣	الاعتراف بالجميل
٣٥	يعسوب النحل (١)
٣٨	يعسوب النحل (٢)
٤٠	الجامع الأموى بدمشق (١)
٤٣	الجامع الأموى بدمشق (٢)
٤٦	سيدنا نوح
٤٩	الكهرباء
٥١	المدينة المنورة
٥٥	الحماسة
٥٧	النشا

الصفحة: الموضوع		الصفحة: الموضوع	
٦٠	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (١)	٨٩	العرب والطيران
		٩٢	الطيران
٦٣	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (٢)	٩٥	أعراب البادية (١)
		٩٨	أعراب البادية (٢)
٦٥	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (٣)	١٠١	نكران الجميل
		١٠٢	تنازع البقاء
٦٧	الوشاية	١٠٥	الخليفة ورئيس الشرطة
٦٩	التلغراف	١٠٧	التحذير من هوى النفس
٧٢	زهد الهنود (١)	١١٠	مصنع الجسم
٧٦	زهد الهنود (٢)	١١٣	فى سبيل الوطن
٧٨	ماجزاء الوالد من ولده	١١٦	ذكاء القاضى
٨٠	زيت البترول	١١٩	آيات الوفاء
٨٣	بغداد (١)	١٢١	وصف مصر
٨٥	بغداد (٢)	١٢٣	وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها
٨٧	الفضيلة		

الصفحة: الموضوع		الصفحة: الموضوع	
١٢٥	الفرج بعد اليأس	١٤٦	منظر بستان
١٢٨	الرخام	١٤٨	حكومة الجسم
١٣٠	ولئن شكرتم لأزيدنكم	١٥١	أهل لابلند
١٣٣	الحرب	١٥٥	الحريق
١٣٦	التاج محل	١٥٩	معانى الألفاظ الصعبة
١٤١	منفاخ الجسم	١٦٢	تقريظ الكتاب
١٤٣	جنادل نيكرا		